الثنائيات الضِّدِّيَّة في قصيدة الكواكب الدرية

في مدح خير البرية

والمعروفة (بالبُـــردة)

إعـداد

أ.م.د/ بديع فتح الله عليوه

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بالمنوفية

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م

ض

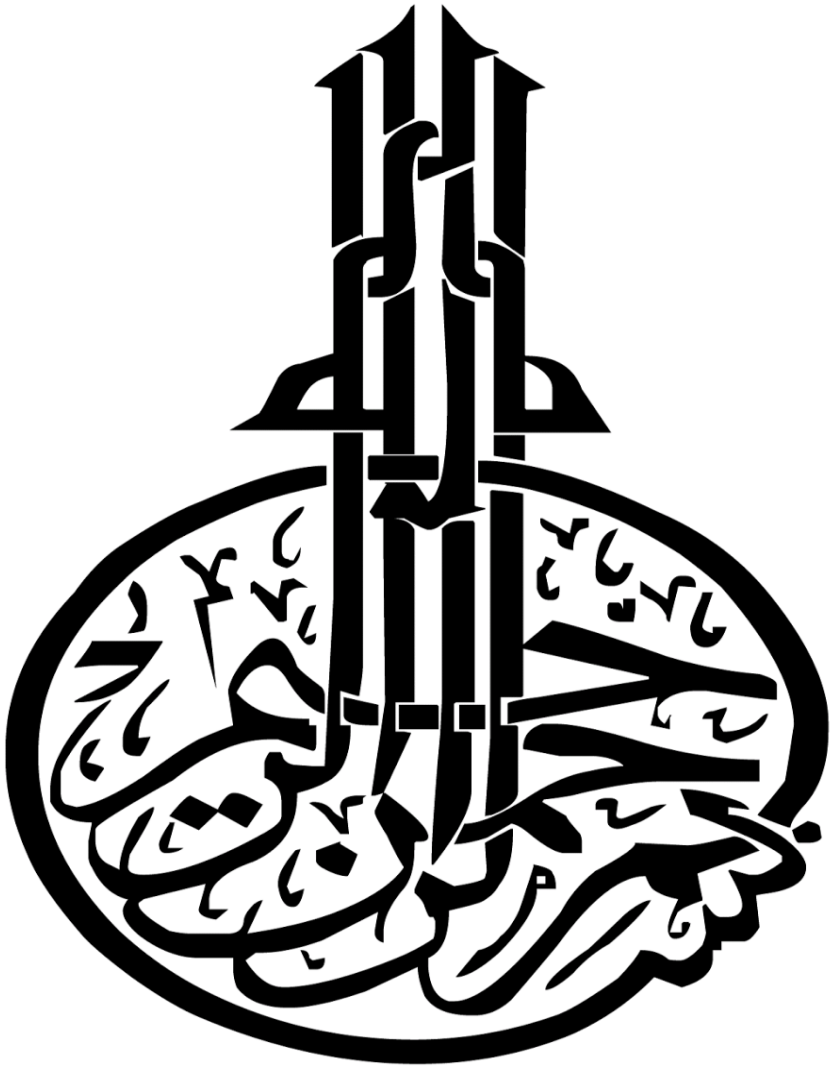

الثنائيات الضِّدِيَّة في قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية والمعروفة بالبردة

بديع فتح الله عبد العزيزعليوه
قسم الأدب والنقد /كلية اللغة العربية بالمنوفية/ جامعة الأزهر الشريف / مصر
البريد الالكتروني:
Badieeliwa.lan@azhar.edu.eghgh

ملخص البحث

إن الحياة مليئة بالتناقضات والثنائيات المتضادة، وتلك التي تجعل الحياة متنوعة ومتغيرة وأكثر دهشة ؛ وذلك لتتوافق مع أذواق البشر المختلفة والمتباينة، فهذه الثنايات المتضادة يُظهِر بعضها بعضا، وتبرز بجمالها خاصة إذا جُمعت في إطار واحد. ويدور البحث حول الثنائيات الضدية التي أوردها الإمام البوصيري في قصيدته المعروفة بـ(البردة)والتي مدح بها النبي - صلىٰ الله عليه وسلم- وقد تناول البحث التعريف بالبوصيري وبردته وعلىٰ الرغم من كثرة الدراسات حول هذه القصيدة خاصة،مثل (قصيدة البردة للبوصيري) دراسة أدبية للباحث محمد أبو الحسن جامعة بنجاب بلاهور،وبردة البوصيري دراسة تاريخية بقلم محمد خالد ثابت دار المقطم للنشر،والصورة البيانية في قصيدة البردة)دراسة بلاغية للباحثة هني مونياواتي جامعة الباحة،و(جمالية الصورة الشعرية في بردة البوصيري) للباحثة بشرىٰ عبد المجيد، وثلاثية البردة بردة الرسول صلىٰ الله عليه سلم (حسن حسين) دار الكتب القطرية الدوحة وغيرها كثير، إلا أنني لم أجد من درس الثنائيات الضِّدِيَّة بها، التي تمثل عصب هذه القصيدة، وعمودًا من أعمدتها الفنية التي بُنِيت عليها، لذلك وغيره من الأسباب فقد اخترت أن أدرس الثنائيات الضِّدِيَّة ومفهوم الثنائيات الضدية، ثم الثنائيات المعنوية وثنائيات التضاد بالطباق والسلب واللون، ثم تناول

الثنائيات اللفظية والتي تأتي بين الأسماء وحدها أو الأفعال وحدها ثم التي تقع بينهما وقد اتبعت المنهج الفني لدراسة البحث، حيث إنه أنسب المناهج لدراسة فنيَّات الثنائيات الضِّديَّة، وقد قسمت البحث ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة، ومزيلة بخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم فهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الثنائيات – الضدية – البوصيري– البردة – بديع– قصيدة الكواكب الدرية.

Opposite dualities in the poem Al-Kawakib Al-Dariah In praise of the goodness of the wilderness, known as the(albarda)

Badih Fathallah Abdul Aziz Alioh
Department of Literature and Criticism / Faculty of Arabic Language in Menoufia / Al-Azhar University / Egypt
E-mail: Badieeliwa.lan@azhar.edu.eghgh

Abstract:

Life is full of contradictions and antagonistic dichotomies, and those that make life diverse, changeable, and more surprising; This is in order to conform to the different and divergent tastes of people, as these contradictory dualities show each other, and stand out in their beauty, especially if they are collected in one framework. The research revolves around the antagonistic dichotomies mentioned by Imam Al-Busiri in his poem known as (Al-Burdah), in which he praised the Prophet - may God bless him and grant him peace - and the research dealt with the definition of Al-Busairi and his apostasy Despite the large number of studies on this poem in particular, such as (The Burdah poem by Al-Busiri) a literary study by the researcher Muhammad Abu Al-Hassan University of Punjab Lahore, and the Burdah of Al-Busiri a historical study written by Muhammad Khaled Thabet Dar Al-Mukattam for publishing, and the graphic image in the poem Al-Burdah (a rhetorical study by the researcher Hani Muniawati University Al-Baha, and (The Aesthetic of the Poetic Image in the Burdah of Al-Busiri) by the researcher Bushra Abdul-Majid, and the Burdah Trilogy Burdah

of the Messenger, may God bless him and grant him peace (Hassan Hussain), the Qatari House of Books, Doha, and many others, except that I did not find anyone who studied the opposite diodes in it, which represent the backbone of this poem For this and other reasons, I chose to study opposite binaries and the concept of opposite binaries, Then the moral dichotomies and the dichotomous dichotomies of contradistinction, negation and color, then dealt with the verbal dichotomies that come between nouns alone or verbs alone and then that fall between them. With a conclusion including the most important findings of the study, then an index of topics.

keywords: Dichotomies - Opposites - Al-Busiri - Al-Burda - Badi - Al-Kawakeb Al-Duriya poem.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان علىٰ خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد،

فما أجمل الشعر حين يتزين بخير البشر، الذي سبَّح في يده الحجر، وانشق من أجله القمر، وهدىٰ الله به البشر، وإن كانت رسالة الشعر سامية باسقة، فأسماها ما كان في النبيِّ الأكرم -ﷺ-، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلىٰ النور بإذنه فهداهم إلىٰ صراط مستقيم.

والناظر في المدائح النبويَّة منذ بزوغ فجرها علىٰ يد سيدنا حسان بن ثابت- رضي الله عنه- وإلىٰ وقتنا هذا يجدها من عيون الشِّعر العربيِّ فنًا وقيمًا وإبداعًا، إلا أن هناك لؤلؤة متفردة، وجوهرة خالدة، هي (بردة الإمام البوصيري) فما قبلها من المدائح شيء وما جاء من بعدها شيء آخر، فهي علامة فارقة في طريق المدائح النبوية؛ لما انمازت من صدق العاطفة وإخلاص القلب وتعلق الروح بجناب النبي الكريم، وهي بلا شك من أروع ما قيل في مدح النبيِّ الكريم، وقد شغلت هذه القصيدة النقاد والشعراء حتىٰ يومنا هذا، فتناولها الشُّرَّاح بشروح عدة، وتناولها الشعراء بالمعارضات التي لا تحصىٰ، حتىٰ أن هناك فنٌّ (البديعيات) وهو ما كان في مدح النبي ﷺ وكان

علىٰ نهج قصيدة البوصيري أي من بحر البسيط وعلىٰ قافية الميم المكسورة.

وللعبد الفقير لعفو ربه أكثر من معارضة لهذه الدرة المكنونة والجوهرة المصونة ،ضمنتها في ديواني (الصلوات المحمدية) بجزأيه الأول والثاني، وإنما نحن الشعراء المادحين لرسول الله نعترف للبوصيري بالسبق، فنحن نغترف من بحر فيضه ومن رحيق إبداعه ،ومن صادق إخلاصه وغيث محبته.

وعلىٰ الرغم من كثرة الدراسات حول هذه القصيدة خاصة،مثل (قصيدة البردة للبوصيري) دراسة أدبية للباحث محمد أبو الحسن جامعة بنجاب بلاهور،وبردة البوصيري دراسة تاريخية بقلم محمد خالد ثابت دار المقطم للنشر،والصورة البيانية في قصيدة البردة)دراسة بلاغية للباحثة هني مونياواتي جامعة الباحة،و(جمالية الصورة الشعرية في بردة البوصيري) للباحثة بشرىٰ عبد المجيد، وثلاثية البردة بردة الرسول صلىٰ الله عليه سلم (حسن حسين) دار الكتب القطرية الدوحة وغيرها كثير، إلا أنني لم أجد من درس الثنائيات الضِّديَّة بها، التي تمثل عصب هذه القصيدة، وعمودًا من أعمدتها الفنية التي بُنِيت عليها، لذلك وغيره من الأسباب فقد اخترت أن أدرس الثنائيات الضِّديَّة في قصيدة " الكواكب الدرية في مدح خير البرية" كي أبيِّن مدي روعة وأهمية الثنائيات الضِّديَّة، التي لا يمرُّ بك بيت أو بيتان منها إلا وتجد لونًا من ألوان هذه الثنائيات، فيعمق الصورة ،ويبين ملامحها،

ويحرك المشاعر إلىٰ فهم المعنىٰ بإظهار النقيض، وبيان الضِّد، مما يطفىٰ علىٰ جماليات القصيدة ألوانًا من الإشراق، وأنواعًا من الدهشة، والتي بدورها ترسخ المعني وتؤكده بما تخطُّه في عقل المتلقي من الرسم بألوان التضاد المختلفة، وبما يلعبه العزف علىٰ أوتار موسيقىٰ التضاد، والتي تبعث إيقاعًا مزدوجًا يظهر فيه المعنىٰ أكثر جمالًا وألقًا.

وقد اتبعت المنهج الفني لدراسة البحث، حيث إنه أنسب المناهج لدراسة فنيَّات الثنائيات الضِّديَّة، وقد قسمت البحث ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة، ومزيلة بخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم فهرس الموضوعات، وبعون الله ستسير الدراسة علىٰ هذه الخُطَّة:

الفصل الأول : التعريف بالبوصيري وبردته ومفهوم الثنائيات الضِّديَّة.

المبحث الأول:- ترجمة البوصيري / شاعرية البوصيري / البوصيري رائد فن المديح.

المبحث الثاني:- بردة البوصيري درة المدائح / سبب إنشاء القصيدة / نَصُّ القصيدة.

المبحث الثالث:- مفهوم الثنائيات الضِّديَّة.

- المعنىٰ اللغوي / المفهوم الاصطلاحي.

- أنواع التَّضَاد.

الفصل الثاني : ألوان الثنائيات الضِّديَّة في قصيدة البردة.

المبحث الأول:- الثنائيات المعنوية.

المبحث الثاني:- ثنائيات التضاد الطباقي.

المبحث الثالث:- ثنائيات التضاد بالسلب (تضاد النفي).

المبحث الرابع:- ثنائيات التضاد اللوني.

المبحث الخامس:- ثنائيات التضاد السياقي.

الفصل الثالث :- الثنائيات الضِّديَّة اللفظية.

المبحث الأول:- الثنائيات الاسمية.

المبحث الثاني:- الثنائيات الفعلية.

المبحث الثالث:- الثنائيات الجامعة.

- الخاتمة.

- المراجع.

- الفهرس.

وأدعو الله أن يُيَسِّرَ ويعين لإتمامه علىٰ الوجه الذي يليق بمن كُتب فيه .

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

الفصل الأول

التعريف بالبوصيري وبردته ومفهوم الثنائيات الضِّديَّة

وبه :-

المبحث الأول :-

- ترجمة البوصيري
- شاعرية البوصيري
- البوصيري رائد فن المديح

المبحث الثاني :-

- بردة البوصيري درة المدائح
- سبب إنشاء القصيدة
- نَصُّ القصيدة

المبحث الثالث :-

- مفهوم الثنائيات الضِّدِّيَّة
- المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي
- أنواع التَّضَاد

الفصل الأول :

التعريف بالبوصيري وبردته ومفهوم الثنائيات الضِّديَّة

المبحث الأول: – ترجمة الإمام البوصيري [1]:

هو الإمام شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري المولود في الأول من شهر شوال ٦٠٨ هـ الموافق للسابع من مارس سنة ١٢١٣ ميلادية والمتوفَّىٰ سنة ٦٩٥ ه الموافق ١٢٩٥ م) رائد المدائح النبوية).

ولد البوصيري بقرية "دلاص" إحدىٰ قرىٰ بني سويف من صعيد مصر لأسرة ترجع جذورها إلىٰ قبيلة "صنهاجة" إحدىٰ قبائل البربر، التي استوطنت الصحراء جنوبي المغرب الأقصىٰ، ونشأ بقرية "بوصير" القريبة من مسقط رأسه، ثم انتقل بعد ذلك إلىٰ القاهرة حيث تلقىٰ علوم العربية والأدب.

وقد تلقىٰ البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره، فحفظ القرآن في طفولته، وتتلمذ علىٰ عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين، منهم: أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي

---

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- (١٣٨٧ هـ= ١٩٦٧م). / شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي- دار إحياء التراث العربي- القاهرة- بدون تاريخ / فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- (١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م./ كتاب مجلة الرسالة أحمد حسن الزيات العدد ٨٩٢ ص ١٨

الأندلسي، وفتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس... وغيرهما.

اشتهر الإمام "شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري" بمدائحه النبوية، التي ذاعت شهرتها في الآفاق، وتميزت بروحها العذبة وعاطفتها الصادقة، وروعة معانيها، وجمال تصويرها، ودقة ألفاظها، وحسن سبكها، وبراعة نظمها؛ فكانت بحق مدرسة لشعراء المدائح النبوية من بعده، ومثالا يحتذيه الشعراء لينسجوا علىٰ منواله، ويسيروا علىٰ نهجه؛ فظهرت قصائد عديدة في فن المدائح النبوية، أمتعت عقل ووجدان ملايين المسلمين علىٰ مرّ العصور، ولكنها كانت دائمًا تشهد بريادة الإمام البوصيري وأستاذيته لهذا الفن بلا منازع.

شاعرية البوصيري :

ونظم البوصيري الشعر منذ حداثة سنه وله قصائد كثيرة ، ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة ، وجمال التعبير ، والحس المرهف ، وقوة العاطفة ، واشتهر بمدائحه النبوية التي أجاد استعمال البديع فيها ، كما برع في استخدام البيان ، ولكن غلبت عليه المحسنات البديعية في غير تكلف ؛ وهو ما أكسب شعره ومدائحه قوة ورصانة وشاعرية متميزة لم تتوفر لكثير ممن خاضوا غمار المدائح النبوية والشعر الصوفي .

وقد جارىٰ البوصيري في كثير من شعره شعراء عصره في استعمال الألفاظ المولدة ، كما كانت له تجارب عديدة في الأهاجي المقذعة ، ولكنه مال – بعد ذلك – إلىٰ النُّسْك وحياة الزهد ، واتجه إلىٰ شعر المدائح النبوية . وتعد قصيدته "البردة" من أعظم المدائح النبوية ، وقد أجمع النقاد

والشعراء علىٰ أنها أفضل المدائح النبوية بعد قصيدة "كعب بن زهير" الشهيرة "بانت سعاد" . وله أيضًا القصيدة "الهمزية" في مدح النبي (ﷺ)، وهي لا تقل روعة وجودة عن بردته الشهيرة ، ومطلعها:

كيف ترقىٰ رُقيَّك الأنبياءُ يا سماء ما طاولتها سماءُ ؟

لم يساووك في عُلاك وقد حال سنىٰ منك دونهم وسناءُ

وله قصيدة أخرىٰ علىٰ وزن "بانت سعاد" ، ومطلعها:

إلىٰ متىٰ أنت باللذات مشغولُ وأنت عن كل ما قدمتَ مسئولُ ؟ !

اشتهر البوصيري بأنه كان يجيد الخطَّ ، وقد أخذ أصول هذا الفن وتعلم قواعده علىٰ يد "إبراهيم بن أبي عبد الله المصري" ، وقد تلقىٰ عنه هذا العلم عدد كبير من الدارسين ، بلغوا أكثر من ألف طالب أسبوعيًا .

وقد تقلب البوصيري في العديد من المناصب في القاهرة والأقاليم ، فعمل في شبابه في صناعة الكتابة ، كما تولىٰ إدارة مديرية الشرقية مدَّة ، وقد اصطدم بالمستخدمين المحيطين به ، وضاق صدره بهم وبأخلاقهم بعد أن تكشَّفت له المساوئ ، وظهرت له العيوب ، فنظم فيهم عددًا من القصائد يهجوهم فيها ، ويذكر عيوبهم ويفضح مساوئهم ، ومنها قصيدته النونية التي مطلعها:

نقدتُ طوائفَ المستخدمينا فلم أرَ فيهم رجلا أمينًا

وفيها يصب جام غضبه ونقمته علىٰ الجميع ، ويهجو كل الناس علىٰ اختلاف مشاربهم وعقائدهم ؛ فلم ينجُ من هجائه أحد ، ويصور علىٰ نحو ساخر النزاع والتعارض الذي يمزق أبناء مصر ويشتت وحدتهم .

وقد أثار ذلك عليه نقمة المستخدمين وعدواتهم ، فسعوا ضده بالدسائس والفتن والوشايات ، حتىٰ سئم الوظائف والموظفين ، واستقال من الوظائف الحكومية ، واتصل بـ"تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الجبار الشريف الإدريسي الشاذلي" ، وتلميذه الشيخ "أبي العباس المرسي أحمد بن عمر الأنصاري" .

البوصيري رائد فن المدائح :

عُني البوصيري بقراءة السيرة النبوية ، ومعرفة دقائق أخبار النبي (ﷺ) وجوامع سيرته العطرة ، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنَّه علىٰ مدح النبي (ﷺ) ، وكان من ثمار مدائحه النبوية (بائياته الثلاث) ، التي بدأ إحداها بلمحات تفيض عذوبة ورقة استهلها:

وافاكَ بالذنب العظيم المذنبُ خجلا يُعنفُ نفسَه ويُؤنِّبُ

ويستهل الثانية بقوله:

بمدح المصطفىٰ تحيا القلوبُ وتُغتفرُ الخطايا والذنوبُ

أما الثالثة ، وهي أجودها جميعًا ، فيبدأها بقوله:

أزمعوا البين وشدوا الركابا فاطلب الصبر وخلِّ العتابا

وله – أيضا- عدد آخر من المدائح النبوية الجيدة ، من أروعها قصيدته "الحائية" ، التي يقول فيها مناجيا الله ﷻ:

يا من خزائن ملكه مملوءة كرمًا وبابُ عطائه مفتوح

ندعوك عن فقر إليك وحاجة ومجال فضلك للعباد فسيح

فاصفحْ عن العبد المسيء تكرُّمًا إن الكريم عن المسيء صفوح

وقصيدته "الدالية" التي يبدأها بقوله:

إلهي علىٰ كل الأمور لك الحمد ... فليس لما أوليتَ من نعمٍ حدُّ
لك الأمر من قبل الزمان وبعده ... وما لك قبل كالزمان ولا بعدُ
وحكمُك ماضٍ في الخلائق نافذ ... إذا شئتَ أمرًا ليس من كونه بُدُّ

آثار البوصيري الشعرية والنثرية:

ترك البوصيري عددًا كبيرًا من القصائد والأشعار ضمّها ديوانه الشعري الذي حققه "محمد سيد كيلاني" ، وطُبع بالقاهرة سنة (١٣٧٤ هـ= ١٩٥٥م) ، وقصيدته الشهيرة البردة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" ، والقصيدة "المضرية في مدح خير البرية" ، والقصيدة "الخمرية"، وقصيدة "ذخر المعاد" ، ولامية في الرد علىٰ اليهود والنصارىٰ بعنوان: "المخرج والمردود علىٰ النصارىٰ واليهود" ، وقد نشرها الشيخ "أحمد فهمي محمد" بالقاهرة سنة (١٣٧٢ هـ= ١٩٥٣م) ، وله أيضا "تهذيب الألفاظ العامية" ، وقد طبع كذلك بالقاهرة .

وتُوفِّي الإمام البوصيري بالإسكندرية سنة (٦٩٥ هـ= ١٢٩٥م) عن عمر بلغ ٨٧ عامًا .

المبحث الثاني :

بردة البوصيري "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"(البردة)

درة المدائح:

وتُعد قصيدته الشهيرة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" ، والمعروفة باسم "البردة" من عيون الشعر العربي ، ومن أروع قصائد المدائح النبوية ، ودرة ديوان شعر المديح في الإسلام ، الذي جادت به قرائح الشعراء علىٰ مرّ العصور ، ومطلعها من أبرع مطالع القصائد العربية ، يقول فيها:

أمِنْ تذكّر جيرانٍ بذي سلم مزجتَ دمعًا جرىٰ من مقلة بدمْ ؟

أم هبت الريحُ من تلقاء كاظمةٍ وأومضَ البرقُ في الظلماء من إِضَمْ

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا ؟ وما لقلبك إن قلت استفق يهمْ؟

وهي قصيدة طويلة تقع في ١٦٠ بيتًا ، يقول في نهايتها:

يا نفسُ لا تقنطي من زلةٍ عظُمتْ إن الكبائرَ في الغفرانِ كاللمَم

وقد ظلت تلك القصيدة مصدر إلهام للشعراء علىٰ مر العصور ، يحذون حذوها وينسجون علىٰ منوالها ، وينهجون نهجها ، ومن أبرز معارضات الشعراء عليها قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي" نهج البردة" ، التي تقع في ١٩٠ بيتا ، ومطلعها:

ريم علىٰ القاع بين البانِ والعلمِ أحلَ سفكَ دمي في الأشهر الحرمِ

سبب انشاء القصيدة:

يقول البوصيري عن سبب نظمه لهذه القصيدة: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، منها ما اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج

(الشلل النصفي) فأبطل نصفي ، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلىٰ الله في أن يعافيني ، وقررت إنشادها ، ودعوت ، وتوسلت ، ونمت فرأيت النبي فمسح علىٰ وجهي بيده المباركة ، وألقىٰ عليّ بردة ، فانتبهت ووجدتُ فيّ نهضة ، فقمت وخرجت من بيتي ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدًا ، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فقلت: أي قصائدي ؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك ، وذكر أولها وقال: والله إني سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وأعجبته وألقىٰ علىٰ من أنشدها بردة . فأعطيته إياها . وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا، وقد كتب البوصيري ميمية البردة من ١٦٧ بيتا [١]

وينفي محمد سيد كيلاني في مقالة بمجلة الرسالة هذه الرواية بل ويرفضها ويعتبرها أنها إفك وكذب علىٰ البوصيري كما أنها إفك وكذب علىٰ رسول الله ﷺ فقال :"وروىٰ غير ابن شاكر أن البوصيري جاء يومًا من عند أحد السلاطين إلىٰ بيته فصادف شيخًا مليحًا فقال له: أنت رأيت رسول الله ﷺ الليلة في المنام ؟ قال البوصيري :إني لم أر النبي في تلك الليلة . لكن امتلأ قلبي من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه السلام فجئت إلىٰ بيتي فنمت فإذا أنا رأيت النبي صلىٰ الله عليه ومع الأصحاب كالشمس بين النجوم فانتبهت وقد ملئ قلبي بالمحبة والسرور ، ولم يفارق بعد ذلك من قلبي محبة ذلك النور وأنشدت في مدحه قصائد كثيرة كالمضرية والهمزية"

(١) ثلاثية البردة بردة الرسول صلىٰ الله عليه سلم (حسن حسين) ص ٥٠ دار الكتب القطرية الدوحة الطبعة الأولي ١٤٠٠هـ

فهذه القصة تزعم أن البوصيري رأىٰ النبي مع أصحابه وأن الشاعر لم يكن في ذلك الوقت مريضًا بل كان في صحة جيدة وأن هذه الرؤيا هي التي أوحت إليه بنظم مدائحه في الرسول كالمضرية والهمزية ولم يذكر شيئًا عن البردة . وقد سبق لنا أن عرفنا أن البوصيري لم ينظم من المدائح النبوية قبل الحج سوىٰ قصائد أربعة منها قصيدة(تقديس الحرم من تدنيس الضرم) ومنها (المخرج والمردود علىٰ النصارىٰ واليهود) وسبق أن تتبعنا الظروف التي نظم فيها البوصيري قصائده النبوية الأخرىٰ .

ولا نجد الشاعر قد أشار في همزيته إلىٰ تلك الرؤيا التي تحدثنا عنها تلك الرواية فليس من العسير علينا بعد ذلك أن ننفي هذه القصة .

ثم استطرد الرواة فذكروا أن البوصيري قال: (أصابني خلط فالج فأبطل نصفي وقطعني عن الحركة ففكرت أن أعمل قصيدة مشتعلة علىٰ مدائح النبي ﷺ واستشفىٰ بها من الله تعالىٰ ، فأنشدت هذه القصيدة ، ونمت ، فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ، فمسح بيده الكريمة علىٰ أعضاء الفقير فقمت من المنام ملابسًا بالعافية من الآلام) .

وهذه القصة لا تذكر لنا أن البوصيري قال بأن النبيّ كان يتمايل عجبًا حين سماعه للبردة ، ولا أنه قال إن النبيّ ألقىٰ عليه بردة . ومضىٰ الراوي يحدث عن البوصيري أنه قال: فخرجت من بيتي غدوة فلقيني الشيخ أبو الرجاء الصِّدِّيق لي ، فقال لي: يا سيدي هات قصيدتك التي مدحت بها النبيّ عليه السلام ، والحال أني لم أكن أعلمت بها أحدًا من الناس فقلت: هي التي أولها:

أمن تذكر جيران بني سلم مزجت دمعًا جرىٰ من مقلة بدم

فقلت أين حفظتها يا أبا الرجاء ؟ وما قرأتها علىٰ أحد ممن جاء، قال :لقد سمعتها البارحة تنشدها بين يدي النبي ﷺ وهو يتمايل ويتحرك استحسانا تحرك الأغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح . فأعطيته إياها فنشر الخبر بين الناس .

وهذه القصة تمتاز عن قصة ابن شاكر بأنها ذكرت لنا اسم هذا الفقير وهو أبو الرجاء . وأن هذا الفقير كان صدِّيقًا للبوصيري . كأنما البوصيري كان نبيًا يقول بأمور لا قصد فيها غير أبي الرجاء ، ومن ثم أطلق عليه لقب (الصِّدِّيق)

وتفيدنا هذه القصة أن أبا الرجاء الصديق هذا قد شارك البوصيري في رؤية الرسول وأنه كان حاضرًا حينما أنشدها الشاعر ورأىٰ النبي يتمايل تمايل الأغصان المثمرة . وأن هذا الصديق هو الذي رأىٰ النبي وهو يلقىٰ علىٰ البوصيري البردة . أي أن موضوع البردة هنا من عند أبي الرجاء الصديق وليس من عند البوصيري .

ولا شك في أن هذا كله مختلق وموضوع وأنه من نسج الخيال . ولقد أمعنوا في الكذب والاختلاق فرووا أن البوصيري لما وصل إلىٰ قوله:

فمبلغ العلم فيه ، أنه بشر فقال له النبي: قل يا إمام ، فقال البوصيري: إني لم أوفق للمصراع الثاني (فقال النبي: قل يا إمام (وأنه خير خلق الله كلهم، (فأدمج البوصيري هذا المصرع في قصيدته . وكل هذا إفك وبهتان . والعجب لمن لا يتورعون عن الكذب علىٰ رسول الله !)[1]

(١) مقال (حول البردة) للأستاذ محمد سيد كيلاني مجلة الرسالة العدد٨٩٢ ص ١٤/ ١٩

وقد دارت حول القصيدة العديد من الشروحات في عصور متتالية ،كما نسج علىٰ منوالها العديد من الشعراء في مختلف العصور منذ العصر المملوكي و إلىٰ يومنا هذا ، وهي من عيون المدائح النبوية بل قل – إن شت – هي من أجمل القصائد في مدح النبي ﷺ في مختلف العصور الإسلامية ، علىٰ الرغم مما فيها من بعض الغلو والشطحات الصوفية التي أخذت علىٰ البوصيري .

نَصُّ قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية

والمعروفة بـ(البردة)للإمام البوصيري

أمِــنْ تَــذَكُّرِ جِيــران بِــذِي سَــلَمٍ ... مَزَجْــتَ دَمْعًــا جَــرَىٰ مِــنْ مُقْلَــةٍ بِــدَمِ

أمْ هَبَّــتْ الــريحُ مِــنْ تِلْقــاءِ كاظِمَــةٍ ... وأوْمَضَ البَرْقُ فِي الظلْماءِ مِنْ إضَمِ

فمــا لِعَيْنَيْــكَ إنْ قُلْــتَ اكْفُفــا هَمَتــا ... وَمــا لِقَلْبِــكَ إنْ قُلْــتَ اسْــتَفِقْ يَهِــمِ

أَيَحْسَــبُ الصَّــبُّ أنَّ الحُــبَّ مُنْكــتِمٌ ... مــا بَــيْنَ مُنْسَــجِمٍ منــهُ ومُضْــطَرِمِ

لــولاَ الهَــوَىٰ لَــمْ تُــرِقْ دَمْعًــا عَلَــىٰ طَلَــلٍ ... ولا أَرِقْــتَ لِــذِكرِ البَــانِ والعَلَــمِ

فكيــفَ تُنْكِــرُ حُبًّــا بعــدَ مــا شَــهِدَتْ ... بــهِ عليــكَ عــدولُ الــدَّمْعِ وَالسَّــقَمِ

وَأَثْبَــتَ الوجِــدُ خَطَّــيْ عَبْــرَةٍ وضَــنىً ... مِثْــلَ البَهــارِ عَلَــىٰ خَــدَّيْكَ وَالعَــنَمِ

نَعَــمْ سَــرَىٰ طَيــفُ مَــنْ أهــوَىٰ فَــأَرَّقَنِي ... والحُــبُّ يَعْتَــرِضُ اللَّــذاتِ بــالأَلَمِ

يــا لائِمِــي فِي الهَــوَىٰ العُــذْرِيِّ مَعْــذِرَةً ... مِنِّــي إليــكَ ولــو أَنْصَــفْتَ لَــمْ تَلُــمِ

عَــدَتْكَ حــالِي لا سِــرِّي بِمُسْــتَتِرٍ ... عَــنِ الوُشــاةِ وَلا دائــي بِمُنْحَسِــمِ

مَحَّضْــتَنِي النُّصْــحَ لكِــنْ لَسْــتُ أَسْــمَعُهُ ... إنَّ المُحِــبِّ عَــنْ العُــذَّالِ فِي صَــمَمِ

إنِّــي اتهَمْــتُ نَصِــيحَ الشَّــيْبِ فِي عَــذَلٍ ... والشَّــيْبُ أَبْعَــدُ فِي نُصِــحٍ عَــنْ الــتُّهَمِ

فــإنَّ أَمَّــارَتِي بالسُّــوءِ مــا اتَّعَظَــتْ ... مِــنْ جَهْلِهَــا بنــذيرِ الشَّــيْبِ وَالهَــرَمِ

ولا أَعَــدَّتْ مِــنَ الفِعْــلِ الجَمِيــلِ قِــرَىٰ ... ضَــيفٍ ألــمَّ بِرَأْسِــي غيــرَ مُحْتَشِــمِ

مَــنْ لِــي بِــرَدِّ جِمــاحٍ مِــنْ غَوايَتِهــا ... كمــا يُــرَدُّ جِمــاحُ الخَيْــلِ بــاللُّجُمِ

فــلا تَــرُمْ بالمعاصِــي كَسْــرَ شَــهْوَتِها ... إنَّ الطعــامَ يُقَــوِّي شَــهْوَةَ الــنَّهِمِ

والــنَّفْسُ كالطِّفْــلُ إنْ تُهْمِلْــهُ شَــبَّ عَلَــىٰ ... حُــبِّ الرِّضــاعِ وإنْ تَفْطِمْــهُ يَــنْفَطِمِ

فاصْــرِفْ هَواهــا وَحــاذِرْ أنْ تُوَلِّيَــهُ ... إنَّ الهَــوَىٰ مــا تَــوَلَّىٰ يُصْــمِ أَوْ يَصِــمِ

وَراعِهــا وهِــيَ فِي الأعمــالِ ســائِمَةٌ ... وإنْ هِــيَ اسْــتَحْلَتِ المَرعَــىٰ فــلا تُسِــمِ

كَـمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قاتِلَـةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ ... فَـرُبَّ مَخْمَصَـةٍ شَـرٌّ مِـنَ الـتُّخَمِ

واسْـتَفْرِغِ الـدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قـد امْـتَلأَتْ ... مِـنَ المَحـارِمِ وَالْـزَمْ حِمْيَـةَ النَّـدَمِ

وخـالِفِ الـنَّفْسَ والشَّـيْطَانَ واعْصِـهِما ... وإنْ هُمَـا مَحَّضَـاكَ النُّصْـحَ فـاتَّهِمِ

وَلا تُطِـعْ منهمـا خَصْـمًا وَلا حَكَمًـا ... فأَنْـتَ تَعْـرِفُ كَيْـدَ الخَصْـمِ والحَكَـمِ

أسْـتَغْفِرُ اللهَ مِـنْ قَـوْلٍ بِـلاَ عَمَـلٍ ... لقـد نَسَـبْتُ بـه نَسْـلًا لِـذِي عُقُـمِ

أمَرْتُـكَ الخَيْـرَ لكـنْ مـا ائْتَمَـرْتُ بـه ... ومـا اسْـتَقَمْتُ فما قَـوْلِي لَـكَ اسْـتَقِمِ

ولا تَـزَوَّدْتُ قبـلَ المَـوْتِ نافِلَـةً ... ولَـمْ أُصَـلِّ سِـوَىٰ فَـرْضٍ ولَـمْ أَصُـمِ

ظَلَمْـتُ سُـنَّةَ مَـنْ أَحْيـا الظَّـلامَ إلَـىٰ ... أنِ اشْـتَكَت قَـدَماهُ الضُّـرَّ مِـنْ وَرَمِ

وشَـدَّ مِـنْ سَـغَبٍ أحشـاءهُ وَطَـوَىٰ ... تَحْـتَ الحِجَـارَةِ كَشْـحًا مُتْـرَفَ الأَدَمِ

وَرَاوَدَتْـهُ الجِبـالُ الشُّـمُّ مِـنْ ذَهَـبٍ ... عَـنْ نَفْسِـهِ فأراهـا أيُّمـا شَـمَمِ

وَأَكَّـدَتْ زُهْـدَهُ فيهـا ضَـرُورَتُهُ ... إنَّ الضَّـرُورَة لا تَعْـدُو علـىٰ العِصَـمِ

وَكَيْـفَ تَـدْعُو إلَـىٰ الـدُّنيا ضَـرُورَةُ مَـنْ ... لـولاهُ لَـمْ تُخْـرِجِ الـدُّنيا مِـنَ العَـدَمِ

مُحَمَّـدُ سَـيِّدَ الكَـوْنَيْنِ والثَّقَلَـيْنِ ... والفَـرِيقَيْنِ مِـنْ عُـرْبٍ ومِـنْ عَجَـمِ

نَبِيُّنَـا الآمِـرُ النَّـاهِي فـلاَ أَحَـدٌ ... أبَـرَّ فِـي قَـوْلٍ لا مِنْـهُ وَلا نَعَـمِ

هُـوَ الحَبيـبُ الـذي تُرْجَـىٰ شَـفَاعَتُهُ ... لِكـلِّ هَـوْلٍ مِـنَ الأهـوالِ مُقْـتَحَمِ

دَعـا إلَـىٰ اللهِ فالمُسْتَمْسِـكُونَ بِـهِ ... مُسْتَمْسِـكُونَ بِحَبْـلٍ غيـرِ مُنْفَصِـمِ

فـاقَ النَّبِيِّـينَ فِي خَلْـقٍ وفِي خُلُـقٍ ... وَلَـمْ يُـدانُوهُ فِي عِلْـمٍ وَلا كَـرَمِ

وَكلُّهُـمْ مِـنْ رَسُـولِ اللهِ مُلْـتَمِسٌ ... غَرْفًـا مِـنَ الْبَحْـرِ أَوْ رَشْـفًا مِـنَ الدِّيَمِ

ووَاقِفُـونَ لَدَيْـهِ عنـدَ حَـدِّهِمِ ... مِـنْ نُقْطَـةِ العِلْـمِ أَوْ مِـنْ شَـكْلَةِ الحِكَـمِ

فهُـوَ الـذي تَـمَّ معنـاهُ وصُـورَتُه ... ثـمَّ اصْـطَفَاهُ حَبيبًـا بـارِئُ النَّسَـمِ

مُنَـــزَّهٌ عَـــنْ شَـــرِيكٍ فِي محاسِـــنِهِ ... فَجَـوْهَرُ الحُسْـنِ فيـه غيـرُ مُنْقَسِـمِ
دَعْ مـــا ادَّعَتْـــهُ النَّصـــارَىٰ فِي نَبـــيِّهِمِ ... وَاحْكُـمْ بما شْئْتَ مَدْحًا فيهِ واحْتَكِمِ
وانْسُـبْ إلىٰ ذاتـه مـا شـئْتَ مِـنْ شَـرَفٍ ... وَانْسُـبْ إلىٰ قَـدْرِهِ مـا شِئْتَ مـنْ عِظَـمِ
فـــإنَّ فَضْـــلَ رســـولِ الله لـــيسَ لـــهُ ... حَـــدٌّ فيُعْـــرِبَ عنـــه نـــاطِقٌ بِفَـــمِ
لـــو ناسَـــبَتْ قَـــدْرَهُ آياتُـــهُ عِظَمًـــا ... أحْيـا اسـمُهُ حِـينَ يُـدْعَىٰ دَارِسَ الرِّمَـمِ
لَـــمْ يَمْتَحِنَّـــا بمـــا تعْيـــا العُقـــولُ بِـــهِ ... حِرْصًـا علينـا فلـمْ نَرْتَـبْ ولـم نَهَـمِ
أعْيـا الـوَرَىٰ فَهْـمُ معْنـاهُ فلـيس يُـرَىٰ ... فِي القُـرْبِ والبُعْـدِ فيـهِ غيـرُ مُـنْفَحِمِ
كالشَّـــمْسِ تَظْهَـــرُ لِلْعَيْنـــينِ مِـــنْ بُعُـــدٍ ... صَـــغِيرةً وَتُكِـــلُّ الطَّـــرْفَ مِـــنْ أُمَـــمِ
وَكيـــفَ يُـــدْرِكُ فِي الـــدُّنيا حَقِيقَتَـــهُ ... قَـــوْمٌ نِيَـــامٌ تَسَـــلَّوْا عنـــهُ بـــالحُلُمِ
فمبْلَـــغُ العِلْـــمِ فيـــهِ أنـــهُ بَشَـــرٌ ... وأنـــهُ خَيـــرُ خَلْـــقِ اللهِ كلِّهِـــمِ
وَكـــلُّ آيٍ أتَـــىٰ الرُّسْـــلُ الكِـــرامُ بهـــا ... فإنمـــا اتَّصَـــلَتْ مِـــنْ نُـــورِهِ بِهِـــمِ
فإنَّـــه شَّـــمْسُ فَضْـــلٍ هُـــمْ كَواكِبُهـــا ... يُظْهِـــرْنَ أنْوَارَهـــا للنـــاسِ في الظُّلَـــمِ
أكْـــرِمْ بِخَلْـــقِ نَبِـــيٍّ زَانَـــهُ خُلُـــقٌ ... بالحُسْـــنِ مُشْـــتَمِلٍ بِالبِشْـــرِ مُتَّسِـــمِ
كـــالزَّهْرِ فِي تَـــرَفٍ والبَـــدْرِ فِي شَـــرَفٍ ... والبَحْـــر فِي كَـــرَمٍ والـــدَّهْرِ فِي هَمَـــمِ
كأنَّـــهُ وَهْـــوَ فَـــرْدٌ مِـــنْ جلالَتِـــهِ ... فِي عَسْـــكَرٍ حِـــينَ تَلْقَـــاهُ وفِي حَشَـــمِ
كَأنَّمـــا اللُّؤلُـــؤُ المَكْنُـــونُ فِي صَـــدَفٍ ... مِـــنْ مَعْـــدَنَيْ مَنْطِـــقٍ منـــهُ ومَبْتَسَـــمِ
لا طِيـــبَ يَعْـــدِلُ تُرْبًـــا ضَّـــمَّ أعظُمَـــهُ ... طُـــوبَىٰ لِمُنْتَشِـــقٍ منـــهُ وَمُلْتَـــثِمِ
أبـــانَ مَوْلِـــدُهُ عَـــنْ طِيـــبِ عُنْصُـــرِ ... يـــا طِيـــبَ مبتـــدأ منـــه ومُخْتَـــتَمِ
يَـــوْمٌ تَفَـــرَّسَ فيـــه الفُـــرْسُ أنَّهـــمُ ... قـــد أُنْـــذِرُوا بِحُلـــولِ البُـــؤْسِ والـــنِقَمِ
وبـــاتَ إيـــوانُ كِسْـــرَىٰ وَهْـــوَ مُنْصَـــدِعٌ ... كَشَـــمْلِ أَصْـــحَابِ كِسْـــرَىٰ غَيْـــرَ مُلْتَـــئِمِ
والنَّـــارُ خامِـــدَةُ الأنفـــاسِ مِـــنْ أَسَـــفٍ ... عليـهِ والنَّهْـرُ ساهي العَـيْنِ مِـنْ سَـدَمِ

وســـاءَ ســـاوَةَ أنْ غاضَـــتْ بُحَيْرَتُهـــا ... ورُدَّ وارِدُهـــا بـــالغَيْظِ حـــينَ ظَمِـــي

كـــأنَّ بالنـــارِ مـــا بالمـــاءِ مِـــنْ بَلَـــلٍ ... حُزْنًـــا وَبالمـــاءِ مـــا بالنَّـــارِ مِـــنْ ضَـــرَمِ

والجِـــنُّ تَهْتِـــفُ وَالأَنْـــوارُ ســـاطِعَةٌ ... وَالحَـــقُّ يَظْهَـــرُ مِـــنْ مَعْنَـــىٰ ومِـــنْ كَلِـــمِ

عَمُـــوا وَصَـــمُّوا فـــإعْلانُ البَشـــائِرِ لَـــمْ ... تُسْـــمَعْ وَبارِقَـــةُ الإِنْـــذَارِ لَـــمْ تُشَـــمِ

مِـــنْ بَعْـــدِ مـــا أَخْبَـــرَ الأَقْـــوامَ كـــاهِنُهُمْ ... بـــأنَّ ديـــنَهُمُ المُعْـــوَجَّ لَـــمْ يَقُـــمِ

وبَعْـــدَ مـــا عـــايَنُوا في الأُفْـــقِ مِـــنْ شُـــهُبٍ ... مَنْقَضَّـــةٍ وفْـــقَ مـــا في الأَرْضِ مِـــنْ صَـــنَمِ

حَتـــىٰ غـــدا عَـــنْ طَرِيـــقِ الـــوَحْيِ مُنْهَـــزِمٌ ... مـــن الشـــياطِينِ يَقْفُـــو إِثْـــرَ مَنْهَـــزِمِ

كـــأَنَّهُمْ هَرَبًـــا أَبطـــالُ أَبْرَهـــةٍ ... أَوْ عَسْـــكَرٌ بالحَصَـــىٰ مِـــنْ رَاحَتَيْـــهِ رُمِـــي

نَبْـــذًا بـــهِ بَعْـــدَ تَسْـــبِيحٍ بِبَطْنِهِمـــا ... نَبْـــذَ المُسَـــبِّحِ مِـــنْ أحشـــاءِ مُلْـــتَقِمِ

جـــاءتْ لِدَعْوَتِـــهِ الأَشْـــجارُ ســـاجِدَةً ... تَمْشِـــي إليـــهِ عَلَـــىٰ ســـاقٍ بِـــلا قَـــدَمِ

كأَنَّمـــا سَـــطَرَتْ سَـــطْرًا لِمَـــا كَتَبَـــتْ ... فُرُوعُهـــا مِـــنْ بَـــدِيعِ الخَـــطِّ في اللَّقَـــمِ

مِثْـــلَ الغَمَامَـــةِ أَنَّـــىٰ سَـــارَ ســـائِرَةٌ ... تَقِيـــهِ حَـــرَّ وطِـــيسٍ لِلْهَجِيـــرِ حَمِـــي

أَقْسَـــمْتُ بـــالقَمَرِ المُنْشَـــقِّ إنَّ لَـــهُ ... مِـــنْ قَلْبِـــهِ نِسْـــبَةٌ مَبْـــرُورَةَ القَسَـــمِ

ومَـــا حَـــوَىٰ الغـــارُ مِـــنْ خَيـــرٍ وَمِـــنْ كَـــرَمٍ ... وكـــلُّ طَـــرْفٍ مِـــنَ الكُفَّـــارِ عنـــه عَمِـــي

فالصِّـــدْقُ في الغـــارِ والصِّـــدِّيقُ لَـــمْ يَرِمَـــا ... وَهُـــمْ يقولـــونَ مـــا بالغـــارِ مِـــنْ أَرِمِ

ظَنُّـــوا الحَمـــامِ وظَنُّـــوا العَنْكَبُـــوتَ علـــىٰ ... خَيْـــرِ البَرِيَّـــةِ لَـــمْ تَنْسُـــجْ ولـــمْ تَحُـــمِ

وِقايـــةُ اللهِ أغنَـــتْ عَـــنْ مُضَـــاعَفَةٍ ... مِـــنَ الـــدُّرُوعِ وَعَـــنْ عـــالٍ مِـــنَ الأُطُـــمِ

مـــا ســـامَنِي الـــدَّهْرُ ضَـــيْمًا وَاسْـــتَجَرْتُ بـــه ... إلّا ونلـــت جـــوارًا منـــه لـــم يضـــم

لا تُنْكِـــرِ الـــوَحْيَ مِـــنْ رُؤْيَـــاهُ إنَّ لـــهُ ... قَلْبًـــا إذا نامـــتِ العَيْنَـــانِ لَـــمْ يَـــنَمِ

وذاكَ حـــينَ بُلـــوغِ مِـــنْ نُبُوَّتِـــهِ ... فلـــيسَ يُنْكِـــرُ فيـــهِ حـــالٌ مُحْـــتَلِمِ

تَبَـــارَكَ اللهُ مـــا وحْـــيٌ بِمُكْتَسَـــبٍ ... وَلا نَبِـــيٌّ عَلَـــىٰ غَيْـــبٍ بِمُـــتَّهَمِ

كَـمْ أبْـرَأْتَ وَصِـبًا بـاللَّمْسِ راحَتُـهُ ... وأَطْلَقَـتْ أرِبًـا مِـنْ رِبْقَـةِ اللَّمَـمِ
وأحْيَـتِ السُـنَّةُ الشَـهْبَاءُ دَعْوتُـهُ ... حتىٰ حَكتْ غُـرَّةً في الأعْصُـرِ الـدُّهُمِ
بعـارِضٍ جـادَ أَوْ خِلْـتَ البِطـاحَ بهـا ... سَـيْبٌ مِـنَ الـيَمِّ أَوْ سَـيْلٌ مِـنَ العَـرِمِ
دَعْنِـي وَوَصْـفِي آيـاتٍ لـهُ ظَهَـرَتْ ... ظُهـورَ نـارِ القِـرَىٰ لَـيْلًا عَلَـىٰ عَلَـمِ
فالـدُّرُّ يَـزدادُ حُسْـنًا وَهْـوَ مَنْـتَظِمٌ ... وَلـيسَ يَـنْقُصُ قَـدْرًا غيـرَ مَنْـتَظِمِ
فمـا تَطَـاوَلُ آمـالُ المَـدِيحِ إلـىٰ ... مـا فيـهِ مِـنْ كَـرَمِ الأخـلاقِ والشِّـيَمِ
آيـاتُ حَـقٍّ مِـنَ الـرَّحْمنِ مُحْدَثَـةٌ ... قَدِيمَـةٌ صِـفَةُ المَوصـوفِ بالقِـدَمِ
لَـمْ تَقْتَـرِنْ بِزمـانٍ وَهْـيَ تُخْبِرُنـا ... آنِ المعـادِ وعَـنْ عـادٍ وعَـنْ إرَمِ
دامَـتْ لَـدَيْنا فَفاقَـتْ كـلَّ مُعْجِـزَةٍ ... مِـنَ النَّبِيِّـينَ إذْ جـاءَتْ ولَـمْ تَـدُمِ
مُحَكَّمـاتٌ فمـا تُبْقِـينَ مِـنْ شُـبَهٍ ... لـذِي شِـقاقٍ ومـا تَبْغِـينَ مِـنْ حَكَـمِ
مـا حُورِبَـتْ قَـطُّ إلاّ عـادَ مِـنْ حَـرَبٍ ... أَعْـدَىٰ الأعـادي إليهـا مُلْقِـيَ السَّـلَمِ
رَدَّتْ بَلاغَتُهـا دَعْـوَىٰ مُعارِضِـها ... رَدَّ الغَيُـورِ يَـدَ الجَـاني عَـنِ الحُـرَمِ
لهـا مَعـانٍ كَمَـوْجِ البَحْـرِ في مَـدَدٍ ... وفَـوْقَ جَـوْهَرِهِ فِـي الحُسْـنِ والقِـيَمِ
فمـا تُعَـدُّ وَلا تُحْصـىٰ عَجَائِبُهـا ... ولا تُسـامُ عَلَـىٰ الإكثـارِ بالسَّـأَمِ
قَـرَّتْ بهـا عَـيْنُ قارِيهـا فَقُلْـتُ لـهُ ... لقـد ظَفِـرتَ بِحَبْـلِ اللهِ فاعْتَصِـمِ
إنْ تَتْلُهـا خِيفَـةً مِـنْ حَـرِّ نـارِ لَظـىً ... أَطْفَـأْتَ نـارَ لَظـىً مِـنْ وِرْدِهـا الشَّـبِمِ
كَأَنَّهـا الحَـوْضُ تَبْـيَضُّ الوجـوهُ بـه ... مِـنَ العُصـاةِ وقـد جـاءُوهُ كَـالحُمَمِ
وَكَالصَـراطِ وكـالمِيزانِ مَعْدِلَـةً ... فالقِسْـطُ مِـنْ غَيرهـا في النـاسِ لَـمْ يَقُـمِ
لا تَعْجَـبَنْ لِحَسُـودٍ راحَ يُنْكِرُهـا ... تَجـاهُلًا وهْـوَ عَـيْنُ الحـاذِقِ الفَهِـمِ
قـد تُنْكِـرُ العـيْنُ ضَـوْءَ الشَّـمْسِ من رَمَـدٍ ... ويُنْكِـرُ الفَـمُّ طَعْـمَ المـاءِ كـم سَـقَمِ
يـا خيـرَ مـنَ يَمَّـمَ العـافُونَ سـاحَتَهُ ... سَـعْيًا وفَـوْقَ الأَيْنُـقِ الرُّسُـمِ

وَمَــنْ هُــوَ الآيَــةُ الكُبْــرَىٰ لَمُعْتَبِــرٍ ... وَمَــنْ هُــوَ النِّعْمَــةُ العُظْمَــىٰ لِمُغْتَــنِمِ

سَــرَيْتَ مِــنْ حَــرَمٍ لَــيْلًا إِلَــىٰ حَــرَمٍ ... كما سَــرَىٰ البَــدْرُ في داجٍ مِــنَ الظُّلَــمِ

وَبِــتَّ تَرْقَــىٰ إِلَــىٰ أَنْ نِلْــتَ مَنْزِلَــةً ... مِــنْ قَــابِ قَوْسَــيْنِ لَــمْ تُــدْرَكْ وَلَــمْ تُــرَمِ

وَقَــدَّمتْكَ جَميــعُ الأنبيــاءِ بِهــا ... والرُّسْــلِ تَقْــدِيمَ مَخْــدُومٍ عَلَــىٰ خَــدَمِ

وأَنْــتَ تَخْتَــرِقُ السَّــبْعَ الطِّبَــاقَ بِهِــمْ ... فِي مَوْكِــبٍ كُنْــتَ فيــهِ صــاحِبَ العلَــمِ

حتــىٰ إذا لَــمْ تَــدَعْ شَــأْوًا لِمُسْــتَبِقٍ ... مِــنَ الــدُّنُوِّ وَلا مَرْقَــىً لِمُسْــتَنِمِ

خَفَضْــتَ كــلَّ مَقــامٍ بالإِضــافَةِ إِذْ ... نُودِيــتَ بــالرَّفْعِ مِثْــلَ المُفْــرَدِ العَلَــمِ

كَيْمَــا تَفُــوزَ بِوَصْــلٍ أَيِّ مُسْــتَتِرٍ ... عَــنِ العُيُــونِ وَسِــرٍّ أَيِّ مُكْتَــتِمِ

فَحُــزْتَ كــلَّ فَخَــارٍ غَيْــرَ مُشْــتَرَكٍ ... وَجُــزْتَ كــلَّ مَقــامٍ غيــرَ مُــزْدَحَمِ

وَجَــلَّ مِقْــدَارُ مــا وُلِّيــتَ مِــنْ رُتَــبٍ ... وعَــزَّ إِدْرَاكُ مــا أُولِيــتَ مِــنْ نِعَــمِ

بُشْــرَىٰ لَنَــا مَعْشَــرَ الإِسْــلامِ إِنَّ لنــا ... مِــنَ العِنَايَــةِ رُكْنًــا غيــرَ مُنْهَــدِمِ

لَمَّــا دَعَــا اللهَ داعِينــا لَطَاعَتِــهِ ... بــأَكْرَمِ الرُّسْــلِ كُنَّــا أَكْــرَمَ الأُمَــمِ

راعَــتْ قلــوبَ العِــدا أَنبــاءُ بِعْثَتِــهِ ... كَنَبْــأَةٍ أَجْفَلَــتْ غَفْــلًا مِــنَ الغَــنَمِ

مــا زالَ يَلْقــاهُمَ فِي كــلِّ مُعْتَــرَكٍ ... حتىٰ حَكَــوْا بالقَنــا لَحْمًــا علىٰ وَضَــمِ

وَدُّوا الفِــرارَ فكــادُوا يَغْبِطُــونَ بــهِ ... أَشْــلاءَ شــالَتْ مَــعَ العِقْبَــانِ والــرَّخَمِ

تَمْضِــي اللَّيــالِي وَلا يَــدْرُونَ عِــدَّتها ... مــا لَــمْ تَكُــنْ مِــنْ لَيــالِي الأَشْــهُرِ الحُــرُمِ

كأَنَّمــا الــدِّينُ ضَــيْفٌ حَــلَّ سَــاحَتَهُمْ ... بِكــلِّ قَــرْمٍ إِلَــىٰ لَحْــمِ العِــدا قَــرِمِ

يَجُــرُّ بَحْــرَ خَمِــيسٍ فــوقَ ســابِحَةٍ ... يَرْمِــي بِمَــوجٍ مِــنَ الأبطــالِ مُلْــتَطِمِ

مِــنْ كــلِّ مُنْتَــدِبٍ للهِ مُحْتَسِــبٍ ... يَسْــطو بِمُسْتَأْصِــلٍ لِلْكُفْــرِ مُصْــطَلِمِ

حتَّــىٰ غَــدَتْ مَلَّــةُ الإِسْــلامِ وهِــيَ بِهِــمْ ... مِــنْ بَعْــدِ غُرْبَتِهــا مَوْصُــولَةَ الــرَّحِمِ

مَكْفُولَــةً أَبَــدًا مِــنهمْ بِخَيْــرِ أَبٍ ... وخيــرِ بَعــلٍ فَلَــمْ تَيْــتَمْ وَلَــمْ تَــئِمِ

هـمُ الجِبـالُ فَسَـلْ عـنهمْ مُصـادِمَهُمْ ... مـاذا رأىٰ مِـنْهُمُ في كـلِّ مُصـطَدَمِ
وسَـلْ حُنَيْنًـا وسَـلْ بَـدْرًا وَسَـلْ أُحُـدًا ... فُصُـول حَتْفٍ ملهُـمْ أَدْهَـىٰ مِـنَ الـوَخَمِ
المُصْـدِرِي البِـيضَ حُمْـرًا بعـدَ مـا وَرَدَتْ ... مِـنَ العِـدا كُـلَّ مُسْـوَدٍّ مِـنَ اللِّمَـمِ
وَالكـاتِبِينَ بِسُـمْرِ الخَـطِّ مَـا تَرَكَـتْ ... أَقْلامُهُـمْ حَـرْفَ جِسْـمٍ غَيْـرَ مُـنْعَجِمِ
شـاكِي السِّـلاحِ لهـمْ سِـيمَىٰ تُمَيِّـزُهُم ... والـوَرْدُ يَمْتـازُ بالسِّـمَىٰ عَـنِ السَّـلَمِ
تُهْـدِي إليـكَ رِيـاحُ النَّصْـرِ نَشْـرَهُمُ ... فَتَحْسَـبُ الزَّهْـرَ في الأكمـامِ كـلَّ كَمِـي
كـأَنَّهمْ في ظُهُـورِ الخَيْـلِ نَبْـتُ رُبًـا ... مِـنْ شَـدَّةِ الحَـزْمِ لاَ مِـنْ شِـدَّةِ الحُـزُمِ
طـارَتْ قلـوبُ العِـدا مِـنْ بَأْسِـهِمْ فَرَقًـا ... فمـا تُفَـرِّقُ بـينَ الـبَهْمِ والـبُهَمِ
ومَـنْ تَكُـنْ بِرَسُـولِ اللهِ نُصْـرَتُهُ ... إنْ تَلْقَـهُ الأُسْـدُ في آجامِهـا تَجِـمِ
ولَـنْ تَـرَىٰ مِـنْ وَلِـيٍّ غَيْـرَ مُنْتَصِـرٍ ... بـهِ ولا مِـنْ عَـدُوٍّ غيْـرَ مُنْقَصِـمِ
أحَـلَّ أُمَّتَـهُ في حِـرزِ مِلَّتِـهِ ... كاللَّيْـثِ حَـلَّ مَـعَ الأشـبالِ في أُجَـمِ
كَـمْ جَـدَّلَتْ كلمـاتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ ... فيهِـوكم خَصَـمَ البُرْهـانُ مِـنْ خَصِـمِ
كفـاكَ بـالعِلْمِ في الأُمِـيِّ مُعْجِـزَةً ... في الجاهِليَّـةِ وَالتَّأْدِيـبِ في اليُـتُمِ
خَدَمْتُـهُ بِمَـدِيحٍ أسْـتَقِيلُ بِـهِ ... ذُنُـوبَ عُمْـرٍ مَضَـىٰ في الشِّـعْرِ والخِـدَمِ
إذْ قَلَّـدانِيَ مـا تُخْشَـىٰ عَواقِبُـهُ ... كـأَنَّني بِهِمـا هَـدْيٌ مِـنَ الـنَّعَمِ
أطعـتُ غـيَّ الصَـبَا في الحَـالَتينِ وَمـا ... حَصَـلْتُ إلاَّ عَلَـىٰ الآثَـامِ والنَّـدَمِ
فيـا خَسَـارَةَ نَفْـسٍ في تِجَارَتِهـا ... لَـمْ تَشْـتَرِ الـدِّينَ بالـدُّنيا ولَـمْ تَسُـمِ
وَمَـنْ يَبِـعْ آجِـلًا منـهُ بِعاجِلِـهِ ... يَـبِنْ لـهُ الغَـبْنُ في بَيْـعٍ وَفي سَـلَمِ
إنْ آتِ ذَنْبًـا فمـا عَهْـدِي بِمُنْـتَقِضٍ ... مِـنَ النبـيِّ وَلا حَبْلِـي بِمُنْصَـرِمِ
فـإنَّ لِـي ذِمَّـةً منـهُ بِتَسْـمِيَتي ... مُحمـدًا وَهْـوَ أَوْفَـىٰ الخَلْـقِ بالـذِّمَمِ
إنْ لَـمْ يَكُـنْ في مَعـادِي آخِـذًا بِيَـدِي ... فَضْـلًا وَإلاَّ فَقُـلْ يـا زَلَّـةَ القَـدَمِ

حاشـــاهُ أنْ يَحْـــرِمَ الرَّاجِـــي مَكارِمَـــهُ ... أَوْ يَرْجِـــعُ الجـــارُ منـــهُ غيـــرَ مُحَتَـــرَمِ
وَمُنْـــذُ ألزَمْـــتُ أفكـــارِي مَدائِحَـــهُ ... وَجَدْتُـــهُ لِخَلاَصِـــي خيـــرَ مُلْتَـــزِمِ
وَلَـــن يَفُـــوتَ الغِنَـــىٰ مِنْـــهُ يَـــدًا تَرِبَـــتْ ... إنَّ الحَيـــا يُنْبِـــتُ الأزهـــارَ في الأُكَـــمِ
وَلَـــمْ أُرِدْ زَهْـــرَةَ الـــدُّنيا التـــي اقتَطَفَـــتْ ... يَـــدَا زُهَيْـــرٍ بمـــا أَثْنَـــىٰ عَلَـــىٰ هَـــرَمِ
يـــا أكْـــرَمَ الرُّسْـــلِ مـــالِي مَـــنْ أَلُـــوذُ بـــه ... سِـــواكَ عنـــدَ حلـــولِ الحـــادِثِ العَمِـــمِ
وَلَـــنْ يَضِـــيقَ رَســـولَ اللهِ جاهُـــكَ بـــي ... إذا الكـــريمُ تَحَلَّـــىٰ باسْـــمِ مُنْـــتَقِمِ
فـــإنَّ مِـــنْ جُـــودِكَ الـــدنيا وضَـــرَّتَها ... وَمِـــنْ عُلُومِـــكَ عِلـــمَ اللَّـــوْحِ والقَلَـــمِ
يـــا نَفْـــسُ لا تَقْنُطِـــي مِـــنْ زَلَّـــةٍ عَظُمَـــتْ ... إنَّ الكَبَـــائِرَ في الغُفْـــرانِ كـــاللَّمَمِ
لَعَـــلَّ رَحْمَـــةَ رَبِّـــي حـــينَ يَقْسِـــمُه ... تـــأْتي عَلَـــىٰ حَسَـــبِ العِصْـــيانِ في القِسَـــمِ
يـــا رَبِّ وَاجْعَـــلْ رَجـــائي غَيـــرَ مُـــنْعَكِسٍ ... لَـــدَيْكَ وَاجْعَـــلْ حِســـابِي غَيْـــرَ مُنْخَـــرِمِ
وَالْطُـــفْ بِعَبْـــدِكَ في الـــدَّارَيْنِ إنَّ لَـــهُ ... صَـــبْراً مَتـــىٰ تَدْعُـــهُ الأهـــوالُ يَنْهَـــزِمِ
وأذن لِسُـــحْبِ صـــلاةٍ مِنـــكَ دائِمـــةً ... عَلَـــىٰ النَّبـــيِّ بِمُنْهَـــلٍّ ومُنْسَـــجِمِ
مـــا رَنَّحَـــتْ عَـــذَباتِ البـــانِ ريـــحُ صَـــبًا ... وأطْـــرَبَ العِـــيسَ حـــادي العِـــيسِ بِـــالنَّغَمِ

السمات الفنية في قصيدة البردة للبوصيري:

اتسمت قصيدة البردة للبوصيري بمجموعة من الخصائص والسمات الفنية ، منها ما يأتي ذكره[1]

- جمال الصور البيانية وتشكيلاتها الوصفية .
- عُمق المعاني وحُسن اختيار الألفاظ .
- صدق العاطفة المبثوثة في هذه القصيدة .
- التنسيق الصوتي والإيقاع المتناغم للقصيدة .
- الاعتماد على أسلوب التقديم والتأخير لعناصر الجملة حسب ما تقتضيه الحاجة الدلالية والبلاغية .
- التأثر الواضح بالقرآن الكريم والسيرة النبوية ، والقَصَص الديني الموروث .

❁❁❁❁❁

(١)) حكيمة بوشلالق، بردة البوصيري دراسة أسلوبية، صفحة ٩٣ . بتصرّف.

المبحث الثالث:

المعنى اللغوي للثنايات الضِّديَّة

التضاد لغةً كما عرّفه الفيروز آبادي في القاموس المحيط : "الضِّدُّ بالكسر والضَّديدُ : المثْلُ والمخالفُ ضِدٌّ ويكونُ جمعًا [١] ومنه قوله تعالىٰ:{كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [٢] وضَدَّه في الخُصومَةِ ، أيْ غَلَبَه وصرَفَه ومنعَه برفْقٍ ، وضادَّه : خالَفَه . "

وهو لا يختلف عما ورد في المعجم الوسيط الذي قام بعض أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة بتأليفه ، فعرّفوه بقولهم : "تَضَادَّ الأمران: كان أحدُهما ضِدَّ الآخر ، والضدُّ: المخالفُ والمنافي ، والمثلُ والنَّظيرُ والكفء ، ويُقال: هذا اللفظ من الأضداد: من المفردات الدَّالةِ علىٰ معنيين متباينين ، كالْجَوْنِ للأسود والأبيض ، الضَّديدُ: الضدُّ {ج} أضدادٌ ، المتضادَّ "في المنطق": اللذانِ لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالأبيضِ والأسود"[٣]

ومن التعريفين السابقين توضّح أنّ كلمة ضدّ تطلق على الشبيه، والنظير وأيضًا على المخالف والمنافي .

أمّا اصطلاحًا فتعدّدت التعريفات لهذا التضاد ، ومع تعدّدها لا تختلف وتبتعد عن المعنىٰ اللّغوي للتضاد أو تنافيه فقد عرّفه أبي البقاء

(١) الفيروزآبادي القاموس المحيط، القاهرة: دار الحديث، صفحة٩٦٩،٩٦٨ (٢٠٠٨)

(٢) سورة مريم آية ٨٢

(٣) أحمد الزيات، إبراهيم مصطفىٰ، محمد النجار وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، صفحة ٥٣٦.

الكفوي بقوله: "هو عند الجمهورِ يُقال لموجودٍ في الخارج مساوٍ في القوةِ لموجودٍ آخرَ ممانع له ، ويُقال: وقد يُراد بالضدِّ المنافي بحيث يمتنعُ اجتماعُهما في الوجود" ، وعرّفه إبراهيم بن فتحي عبدالمقتدر بأنّه: "لفظةٌ واحدة تحمل المعنىٰ وعكسَه" ، كما عرّفه محمد بن السيّد حسن بقوله: "هو اللفظ الدَّال علىٰ معنيين متقابلين" . [٦]

المفهوم الاصطلاحي للثنائيات الضِّديَّة :

مما لا شك فيه أن (الثنائيات الضِّديَّة) تتجلىٰ في الشعر العربي بصورة واضحة و ظاهرة ، وإن كان قد أُشتهر حديثًا بأنه مصطلح فلسفي حديث[١]، ولكن العرب قد عرفوه وتحدثوا عنه في أثناء نقدهم لأشعار السابقين ، ووضعوه تحت أسماء عدة مثل :الطباق الذي هو التقابل سواء أكان طباق سلب أو إيجاب ، فقد ذكره قدامة بن جعفر" :والذي أريد بقولي :متكافئين في هذا الموضع :أي متقاومان ، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل[٢]

فالتضاد معروف عند العرب كثيرًا وهو يعني الطباق ولا شك أنهما واحد ، بدليل ما جاء من أمثلة في قسمتهم للمتضادين إذا تقابلا أن يكونا مطابقين ، ومنه قول كعب بن زهير :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول [٣]

(١) ينظر :المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١/ ٢٨٥

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق :كمال مصطفىٰ، مكتبة الخانجي بمصر، ١٦٤/ ١٦٥ سنه ١٩٦٣

(٣) ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح أستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت طبعة١٩٩٧ ص ٦١

فطابق بين هيفاء وعجزاء وبين مقبلة ومدبرة وبين قصر وطول .

فالتضاد مفهوم بلاغي قديم صنفه أغلب القدماء في حقل البديع ، وعرَّفوه علىٰ أنه واحد من اثنين ، التضاد باللفظ والتضاد بالمعنىٰ ، "فالمتضادان هما اللذان ينفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا علىٰ الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد و البياض"[١] وذلك عند أبي هلال العسكري فالطباق يعني" الجمع بين الشيء وضده في أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد ، والليل والنهار ، والحر والبرد"[٢] ويقول الباقلاني :" ويرون من البديع أيضًا ما يسمونه المطابقة وأكثرهم علىٰ أن معناها أن يذكر الشيء وضده كالليل والنهار والسواد والبياض"[٣] ويعرفه الخطيب القزويني بأنه" :الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة[٤]"أما ابن الأثير فيقول:" وقد

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق :أبي عمرو عماد زكي الباروي، المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر :١٦٤

(٢) كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق :علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ٣٠٧ط ١، ١٩٥٢:

(٣) إعجاز القرآن، الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق : السيد أحمد صقر١/ ٨٠

(٤)الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، اعتنىٰ به وراجعه محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٣٣٣/ ٢٠٠٨

أجمع أرباب هذه الصناعة علىٰ أن المطابقة هي الجمع بين الشيء وضده ، كالسواد والبياض والليل والنهار" (١)

إن التضاد مطلب مهم في دارسة الأنساق التي تهيمن علىٰ العمل الأدبي ، إذ لا بد من اكتمال النسق، ثم انحلاله وهذا شرط أساس لفاعليته، وفي أي عمل أصيل لا بد عندما تتشكل الأنساق أن تنحل لتنشأ عبر التغاير (أي الحضور والغياب)، بنية تقوم علىٰ ثنائية ضدية تنبع من التمايز بين عنصرين أساسين ، وقد يفسر لنا هذا جزءًا من حيوية(ديناميكية(عملية التلقي الأدبي" (٢)

وقد اعتنىٰ اللغويون المعاصرون والنقاد البنيويون بمصطلح الثنائية الضِّديَّة Binary" Opposition " وأكدوا فاعلية وجوده في النص الشعري بوصفه معنىٰ يفجر الطاقة الشعرية في الصور و المعاني" (٣)

" ودراسة الشعر عبر ثنائياته المتضادة وسيلة من الوسائل الفنية التي تحقق للقصيدة إيقاعها الدلالي وتفتح أمام المتلقي فضاءات جديدة ،

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق :أحمد الحوفي، نهضة مصر، ط ١/ ١٩٥٩ ج٣ ص ١٤٣

(٢) ينظر :جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، :١٠٩- ١١٠ / ١٩٨١

(٣) الثنائية الضِّديَّة في نماذج من الشعر العباسي، ماجد عبد الحميد الكعبي، مجلة أطراس، س ١، ع ٢، جامعة البصرة، نيسان، ٥٣ :٢٠٠٦

وتترك للخيال أن يرتاد آفاقًا رحبة ، مما يجعل العبارة الشعرية في هذا الأسلوب قابلة لقراءات متعددة "[١]

ولعل أهم ما يميز دراسة النص الشعري عبر ثنائياته الضِّديَّة هو أن الظاهرة(الثنائيات الضِّديَّة (لا تعني بحد ذاتها ، وإنما الذي يعني هو العلاقات التي تنشأ بين الظاهرة وبين غيرها من الظواهر في النص حين تشكل كلها ثنائيات ضدية لكل طرف منها خصائصه المميزة "[٢]

وقد حظيت هذه الثنائية باهتمام الباحثين منذ القديم في مختلف العصور كونها فكرة فلسفية قبل أن تكون لغوية متأصلة في النفس البشرية ومتصلة أشد الاتصال به وبنظام الكون لتدخل عالم النقد الادبي واللغة ، لذا سُحِبت هذه الظاهرة علىٰ النقد الأدبي ، وأصبحت مفردة من مفردات الثقافة . ومن هؤلاء النقاد الجاحظ(ت٢٥٥هـ) الذي يعد من أوائل الذين التفتوا إلىٰ الثنائية الضِّديَّة ،إذ يرىٰ أن قانون الثنائية هو قانون الحياة المعيشية وأن مكونات الوجود تقوم علىٰ ثلاثة أمور(متفق ومختلف ومتضاد(ثم يرد هذه المستويات الثلاثة التي تجسد حيوية القانون إلىٰ الأصل الثنائي الإشكالي مُمَحوراً إياها حول الحركة والسكون" .[٣]

أما أبو حيان التوحيدي(ت ٤٤٤ هـ) فقد أدرك ذلك من خلال النظر في المعاني والأشكال في الحياة ، والتي تتشاكل وتتلاقىٰ مهما اختلفت

(١) ينظر :ثنائية الماء والنار في شعر أبي تمام، د.نوزاد شكر إسماعيل، مجلة التربية والعلم، م ١٩، العدد (٢)نيسان ٢٠٠١

(٢) ينظر :جدلية الخفاء والتجلي ١٧١

(٣) ينظر :الحيوان، الجاحظ:٢٤

منابعها وتنوعت أحوالها ، ورأىٰ في ثنائية العقل والحس ظهورًا للمفكر الفلسفي والأدبي ، ورأىٰ في اجتماع الحس والعقل في الإنسان دليلًا علىٰ اجتماع المتناقضات فيه ، فالإنسان تركيبه من متناقضات"[١]

وقد اتسع مفهوم الثنائيات الضِّديَّة عند النقاد المحدثين ومنهم(كولرج) الذي أكد علىٰ أن المحاكاة ليست جميلة إن لم يتحقق فيها عنصر التشابه والاختلاف معًا .

ويرىٰ كمال أبو ديب" أن البنيوية ليست فلسفة وإنما طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود"[٢] حيث ينصب اهتمامها علىٰ مفاهيم التزامن والثنائيات الضِّديَّة والإصرار علىٰ وجود العلاقات بين العلامات لا العلامات نفسها و التي تعنيه ، فأصبح محالًا أن تعاين الوجود والإنسان والثقافة والطبيعة كما كان يعانيه الذين سبقوا البنيوية" [٣]

أما"د .صلاح فضل" فيتناول التضاد عند دراسته للأسلوبية حيث يقول: "وقيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظم العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين فلن يكون له أي تأثير ما لم يتداع في توال لغوي ، وبعبارة أخرىٰ فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية مثلها في ذلك مثل التقابلات المستمرة في اللغة"[٤]

(١) ينظر :المقايسات، أبو حيان التوحيدي :١٣٩/ ١٤٤

(٢) جدلية الخفاء والتجمي دراسات بنيوية في الشعر : ٧

(٣) علم الأسلوب مبادئه وإجراؤه :١٣٩

(٤) ينظر :الشعر ولغة التضاد ٣

إن الثنائيات الضِّديَّة تساعد وبشكل كبير علىٰ التأثير بالمتلقي((فمن وسائل الاقناع الحجة الفعلية القائمة علىٰ الاستدلال والمقارنة بين المتناقضين لتبين المفارقة الشاسعة بينهما فتعمل النفس علىٰ الالتصاق بالإيجابي الحسن والنفور من السلبي القبيح أو المتنافرة فيثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية في المتلقي ، لأن الأخير يلمس هذه المقارنة وهذا التنافر ويعيشهما وهذه الإثارة تؤدي إلىٰ التأثير والإقناع وتحقيق الغاية المرجوة ، ومن ثم فإن التضاد يستغل هذا وأكثر ؛ وذلك لبعد الهوة بين النقيضين والشيء يعرف بضده[1]وليس بعيدًا عن الأسماع الأمثلة السيارة من الشعر وغيره التي تؤكد هذا ، من ذلك قول القائل :(والضد يظهر حسنه الضد) وقول غيره (وبضدها تتميز الأشياء) وقول الشاعر:

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

❁❁❁❁❁

(١)الثنائيات الضِّديَّة في لغة النص الأدبي عمي زيتونة١٦١

الفصل الثاني
ألوان الثنائيات الضِّديَّة في قصيدة البردة

المبحث الأول:- الثنائيات المعنوية .

المبحث الثاني:- ثنائيات التضاد الطباقي .

المبحث الثالث:- ثنائيات التضاد بالسلب (تضاد النفي) .

المبحث الرابع:- ثنائيات التضاد اللوني .

المبحث الخامس:- ثنائيات التضاد السياقي .

الفصل الثاني : ألوان الثنائيات الضِّديَّة في قصيدة البردة

هناك ألوان من التضاد متنوعة ، وله تقسيمات عدة ، فمن النقاد من قسم التضاد من حيث اللغة فجعل الألفاظ المستخدمة في إجراء عملية التضاد هي مناط التقسيم ، فقسمه علىٰ النحو الآتي :

١- **الثنائيات الاسمية** : وهي التي يكون فيها اللفظان المتضادان اسمين مثل كبير وصغير وكريم وبخيل .

٢- **الثنائيات الفعلية** : وهي التي يكون فيها اللفظان المتضادان فعلين مثل يغدو ويروح ،ويصعد وينزل ، وقام وقعد . .الخ

٣- **الثنائيات الجامعة** : وهي التي تجمع بين الاسم والفعل ، فيكون أحد طرفي التضاد اسما ويكون الطرف الآخر فعلا مثل يبخل والكرم ، والنور وأظلم .

ومنهم من قسمه تقسيما أقرب إلى علم البلاغة ، فقسم على النحو الآتي :

١- تضاد الطباق

٢- تضاد اللون

٣- تضاد السلب التضاد بالنفي

٤- تضاد السياق

وهناك من قسمه تقسيما فلسفيا من حيث القوة و الحدة ،فجاء التقسيم على النحو الآتي :

١- **التضاد الحاد**: ويسمىٰ التضاد غير المتدرج مثل (حي ـ ميت) فهما كلمتان متقابلتان في الدلالة ونفي أحد طرفي التقابل يعني الاعتراف بالآخر .

٢- **التضاد المتدرج:** ويصفه المناطقة بأن الحدين فيه لا يستنفدان كل عالم المقال ، ولذا فإنهما قد يكذبان معًا ، بمعنىٰ أن شيئًا قد لا ينطبق عليه أحدهما ، إذ بينهما وسط ، فقولنا: الحساء ليس ساخنًا لا يعني الاعتراف ضمنيًا بأنه بارد فربما يكون فاترًا أو دافئًا أو ما إلىٰ ذلك . .

٣- **تضاد التضايف:** ويسميه المناطقة "الإضافة" ، وهي نسبة بين معنيين كل منهم مرتبط بإدراك الآخر كإدراك الأبوة والبنوة ، فإن أحدهما لا يدرك إلا مع إدراك الآخر . .

٤-**علاقة التنافر:** أو ما يطلق عليه في علم المنطق بعلاقة التخالف وهي النسبة بين معنىٰ ومعنىٰ آخر من جهة إمكان اجتماعهما وإمكان ارتفاعهما ، مع اتحاد المكان والزمان أي: يمكن اجتماعهما معًا في شيء واحد في زمان واحد ، ويمكن ارتفاعهما معًا عن شيء واحد في زمان واحد مثل (أكل ـ باع) ، و(الطول ـ البياض)

إن الاعتقاد بضرورة إحداث تقابلات بين مجموع الألفاظ المتماثلة أو المتباينة ، يعكس حقيقة العملية الدلالية التي تتم في مستوىٰ ذهني معقد ، إذ التقاطُ دلالة صيغة ما يتم بعد سلسلة من التقابلات الذهنية التي يقوم بها السامع ، ولذلك ذهب "سوسير" إلىٰ القول بأن إنتاج دلالة صيغة ما يتم بواسطة عملية التقابل بينهما وبين صيغ أخرىٰ بإحدىٰ العلاقات التي حددها اللغويون .

ومن خلال هذه التقسيمات المتنوعة فقد حاولت أن أوفق بينها وأخرج منها جميعا بتقسيم جامع يحتويها في بوتقة واحدة ، ومن هنا سوف يكون

الفصل الثاني خاصا للثنائيات المعنوية أو التي تقسم التضـاد حسـب المعنـي والمفهوم البلاغي ،وهو في مباحث:

الأول: الثنائيات المعنوبة

الثاني: التضاد الطباقي

الثالث: التضاد اللوني

الرابع: التضاد بالنفي

الخامس: التضاد السياقي

ثم يكون الفصل الثالث مختصا بدراسة الثنائيات اللفظية .

المبحث الأول: الثنائيات المعنوية

لقد حفلت البردة بالعديد من ألوان الثنائيات الضِّديَّة المعنوية ، وجاءت كلها من أجل تقوية المعنىٰ وتجلية المفهوم ،ولتكون باعثا علىٰ التفكير والتحليل والغوص في أعماق المعاني لكشف الدُّرِّ المكنون تحت هذه الألفاظ المتضادة والمتقابلة ، والتي يمكن أن يصرح بأحد طرفي المقابلة ويترك للمتلقي متعة إعمال الفكر بكشف المقابل الآخر المتروك . وتلك الثنائيات كثيرة ومتنوعة ، وسوف نتناولها بإذن الله بالدراسة في هذا الموضع.

أولًا : ثنائية (الإسرار والإعلان).

إن الإنسان في حياته يدور بين هذين النقيضين " السرّ و الإعلان " أو الخفاء والظهور أو المصارحة أو الكتمان إلىٰ غير ذلك من المعاني ، وحول هذا المفهوم جاءت العديد من صور المقابلة والتضاد من ذلك قول البوصيري:

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ؟

وهنا يسوق المقابلة في صيغة الاستفهام الإنكاري ، فما يفعله الصب حين يكتم هواه ، ويخفي مشاعره هو أمر منافٍ للطبيعة والفطرة ، فمن ذا الذي يستطيع أن يكتم هواه ويخفي مشاعره ؟ إنه ظن خاطئ ، واعتقاد فاسد ،فليس في البشر من يستطيع بحال أن يفعل ذلك ، فالصب تفضح العيون ،وتنبأ عن مشاعره أعضاؤه وتعبيراته وسلوكياته ، وهذه المقابلة بين إعلان المشاعر والبوح بها ،وبين الإسرار والكتمان يظهر جمال المعنىٰ ورعة التعبير عنه .

ويؤكد المعنىٰ في بيت آخر ويقول:

فكيـفَ تُنْكِـرُ حُبًّـا بعـدَ مـا شَـهِدَتْ بـهِ عليـكَ عـدولُ الـدَّمْعِ وَالسَّـقَمِ

وهنا أيضا يسوق المعني بصيغة الاستفهام الإنكاري ، فكيف يستطيع أن تنكر محبة ظهرت علاماتها وانكشفت أمارتها ،بل وشهد عليها شهود عدول من نفسك ، وهما دموعك النازفة وسقامك البادية ؟ فلا يخفىٰ علىٰ ناظر تلك الثنائية التقابلية بين الإنكار والخفاء وبين الإعلان والظهور والتي أظهرت المعني بصورة شائقة رائقة .

وفي هذا البيت يقول أنه لم يجد طريقًا لإخفاء مشاعره ،فاعترف بها بيانًا وقال:

عَـدَتْكَ حـالِي لا سِـرِّي بِمُسْـتَتِرٍ عَـنِ الوُشـاةِ وَلا دائـي بِمُنْحَسِـمِ

إنه بعد مكابدته لكتمان المشاعر لم يجد بدا من الاعتراف بعدم قدرته علىٰ التحمل ، فقرر أن يعدل عن هذا الرأي والمنهج ، فعدَّل حاله واعترف ، فلن يستطيع أن يكتم سره أو أن يستره ويخفيه ، فالشواهد ظاهرة بيِّنة يراها الوشاة في حالي وسقمي ،وينشرونها في الناس بحكم طبيعتهم من الوشاية ونقل الأخبار .

وهنا يقارن ويقابل بين حاله أثناء محاولة كتمان المشاعر الذي كابده ولم يستطعه ،وبين حاله واعترافه بإعلان هذه المشاعر من جهة ، ومن جهة أخرىٰ يبين حاله كونه يسرُّ أو يعلن ما يقاسيه وبين ما تتناقله الوشاة من أخباره بعد أن ظهر ما كان يخفيه رغما عنه ، ولا ريب في أن هذا التضاد أضفىٰ علىٰ المعنىٰ جمالًا خلابًا .

وعلىٰ هذا المنوال ينسج ويقول:

والجِـــنُّ تَهْتِـــفُ وَالأَنْـــوارُ ســـاطِعَةٌ وَالحَـقُّ يَظْهَـرُ مِـنْ مَعْنَـىٰ ومِـنْ كَلِـمِ

فالجن مأخوذ من مادة (جنَّ) وتعني الخفاء والستر ، وكل ما يدور حولها يعطي هذا المعنىٰ مثل الجنة وهي المستورة والمخفية بأشجارها ، أو جنة الآخرة وهي مستورة عن العيون ، والجنين: وهو المستور في بطن أمه،والجَنان: وهو القلب المستور في الصدور ، وغيرها ، فتخيل أن الجن فارقت طبيعتها وظهرت عيانا بيانًا والأنوار ساطعة ، وهي تهتف وأصواتها مسموعة ، والحق ظاهر في المعاني والكلمات .

فلك أن تتخيل هذا المشهد المهيب حين يظهر الجن للعيون في أنوار ساطعة وهم يهتفون بأصوات مسموعة ، والناس تسمع وتشاهد ، فطبيعة الجن الستر والخفاء ، وها هي ذي تُشَاهَدُ وتُسمَع ، إنه انتصار الحق وظهوره من خلال هذه المعجزة التي تبهر العيون والآذان ، إنها تؤكد صدق النبوة ، وعظمة الرسالة التي جاء بها النبي الأكرم ﷺ .

ويقول بعد هذا البيت مباشرة إن ميلاد النبي الأكرم: "صلىٰ الله عليه وسلم" قد أحدث هذا الزلزال الكبير في الدنيا ، وذلك حين احتفت بمولده السماء والأرض والإنس والجن ، وكان من أثر ذلك خمود نيران الفرس ، وجفاف بحيرة ساوة ، وتصدع إيوان كسرىٰ ، وغيرها من هذ البشائر والإرهاصات ، ولكن من ختم الله علىٰ قلبه وسمعه ، وأعمىٰ بصره فإنه لا يرىٰ هذه الآيات الساطعة والحجج البيِّنةُ الرائعة ، علىٰ الرغم من عظمة الآيات والدلائل ، إلا أنها لم تجد أذنا سامعة أو عينا مبصرة ؛ كي ترىٰ هذه المعجزات وتسمع بتلك المكرمات ، لاسيما وقد نبههم إلىٰ ذلك كهنتهم بأن دين الحق قد انبلج وفجر الإسلام قد انفلج . . . .يقول:

عَمُـوا وَصَـمُّوا فـإعْلانُ البَشـائِرِ لَـمْ تُسْـمَعْ وَبارِقَـةُ الإنْـذَارِ لَـمْ تُشَـمِ
مِـنْ بَعْـدِ مـا أَخْبَـرَ الأقْـوامَ كـاهِنُهُمْ بـأنَّ ديـنَهُمُ المُعْـوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ

ولا يخفىٰ علىٰ بصير تلك الثنائيات من ذكر العمىٰ المعنوي الذي أصابهم مقابل الإبصار الموجود حقيقة ، والصمم المعنوي أيضا مقابل السمع الحقيقي ،فهم وإن كانوا يملكون بصرًا حقيقيًا إلا أن أعينهم عميت عن رؤية الحق ،وآذانهم صمَّت عن سماع كلمة الصدق ،وعقولهم عجزت عن فهم الحقيقة الظاهرة بالدلائل والحجج البيِّنة ، وذلك مأخوذ من قوله تعالىٰ:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٩]، وغيرها من الآيات التي تدور في الفلك ذاته .

كما نلحظ في حياتنا هؤلاء النفر من الحاقدين والحاسدين الذين ينكرون الحق ولا يشهدون بالصدق ، فلا تطاوعهم أنفسهم الخبيثة علىٰ الاعتراف بالحقائق الظاهرة ، فينكرون كل فضل ،ويحقرون كل نعمة ؛ وما ذلك إلا لخبث طويتهم وسوء مخبرهم ، ولا عجب أن ينكر هذا الحاسد الحاقد ضوء الشمس في نهار ساطع ، أو ينكر الفضل الرائع الماتع ، فمن ينكر ضوء الشمس ما ذلك إلا بسبب حقده الذي أصاب عينه بالرمد ، ومن يدعي مرارة الماء الزلال فما ذلك إلا لمرارة نفسه التي أثرت في ذائقته وأصابه المرض والسقم الذي جعله لا يدرك حقيقة الأمور ،فأنكر طعم الماء العذب وادعىٰ مرارته ، وما ذلك إلا من نفسه المريضة وقلبه الحاقد الحاسد . . .يقول:

لا تَعْجَـبَنْ لِحَسُـودٍ راحَ يُنْكِرُهـا تَجـاهُلًا وهْـوَ عَـيْنُ الحـاذِقِ الفَهِـمِ

قد تُنْكِرُ العيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ من رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماءِ كم سَقَمِ

فقابل بين الإنكار والاعتراف ، وبين العمىٰ والبصر ، وبين الضوء والظلام ،وبين المر والحلو ، وبين الحاسد والحاذق ، والشاكر والحامد والمنكر والجاحد .

ثانيًا : ثنائية الموت والحياة :

إنها واحدة من الثنائيات المهمة التي تناولها الشعراء قديمًا وحديثا ؛ ذلك لأن الموت هو الحقيقة الوحيدة في الحياة ، ولها ما لها من وقع مؤثر علىٰ المتلقي ، فذلك الشيء الوحيد الذي لا يستطيع أحد إنكاره أو محاربته أو دفعه .

وقد استخدم البوصيري في بردته هذه الثنائية بطريقتين: الأولىٰ هي ذكر الثنائية بطرفيها ، والثانية ذكر أحد الطرفين وترك الآخر لدلالة السياق عليه .

فمن الأول قوله:

لو ناسَبَتْ قَدْرَهُ آياتُهُ عِظَمًا أحْيا اسمُهُ حِينَ يُدْعَىٰ دَارِسَ الرِّمَمِ

فذكر الحياة في الفعل أحيا وذكر الموت في كلمة دارس الرمم وهي الجثث البالية التي رَمَّتْ .

وفي قوله أيضًا:

وأحْيَتِ السُّنَّةُ الشَّهْبَاءُ دَعْوتُهُ حتىٰ حَكَتْ غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُمِ

بعارِضٍ جادَ أَوْ خِلْتَ البِطاحَ بها سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ

نجد الفعل (أحيت) في مقابلة الأعصر الدهم وهي الأزمنة السوداء بالجهل والضلال والكفر ، فالله أخرجنا من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان بسنة نبيِّ الأكرم ﷺ ، وليس هذا بعيدًا عن قوله -عز من قائل- ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].

ذكرنا سابقًا أنه في المقابلة أو التضاد ليس شرطًا أن يُذكَرَ اللفظان المتضادان ، أو الجملتان المتقابلتان ، بل يُكتفَىٰ بذكر أحدهما طالما أن المتلقي يصل إلي المعني بإعمال عقله ، وذلك مما يزيد المعني جمالاً وتأكيدًا حينما يشارك المتلقي المبدع في الوصول إلىٰ آفاق المعنىٰ وجوهر النص .

والإمام البوصيري يستخدم ذلك النمط من الإبداع حين يترك للمتلقي هذه المساحة من الإبداع ؛كي يزيد الإقناع والإمتاع ، فنراه يطلق الثنائية بذكر أحد طرفيها ويستند إلىٰ فهم القارئ في إكمال التقابلية الضِّديَّة ،وذلك يزيد المعنىٰ بهاء وألقا .

من ذلك قوله:

ولا تَــزَوَّدْتُ قبــلَ المَــوْتِ نافِلــةً ولَـمْ أُصَـلِّ سِوَىٰ فَـرْضٍ ولَـمْ أَصُـمِ

فهو يعاتب نفسه علىٰ التقصير في أداء النوافل والزيادات ، فضلا عن أداء الواجبات المفروضات ، فالله –عزَّ وجلَّ–حين طلب إلينا أن نتزود بزاد للآخرة فقال :﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٩٧]. وفي الحديث القدسي "وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه ، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّىٰ أُحِبَّهُ . . ."(١)

وهو هنا ينفي أن يحمل زادا لما بعد الموت –علىٰ الرغم من كونه لا يزال حيًّا–فهو لم يكثر من النوافل والتي هي سبب في محبَّة الله تعالىٰ ، ويقر

(١) صحيح البخاري الصفحة 6502

بأنه لم يكن يصلي أو يصوم سوىٰ الفرائض فقط . فقابل بين قبل الموت وبعد الموت ، كما قابل بين النافلة والفرض .

ثالثًا: ثنائية النور والظلمة:

ومن الثنائيات التي استعملها البوصيري في بردته ثنائية النور والظلمة ، ومن ذلك قوله:

أَمْ هَبَّتْ الريحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ وأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظلْماءِ مِنْ إضَمِ

فنراه قابل بين وميض البرق الذي ينير الأجواء بنوره الساطع ، فيحيل ظلمة الليل إلىٰ نهار رائع للحظات ، ثم تعود الظلمة ثانية ، وربما يحدث البرق نهارًا ولكنه لا يكون له أثر كبير ، أما في الليل المظلم فإن له ذلك التأثير البيِّن ، حين يتغير المشهد من النقيض إلىٰ النقيض في ثوان معدودة ، فيكون الفرق ظاهرا وجليًا ، لذا قيَّد ظهور البرق في الليل المظلم . وهذا يذكرنا بقول الشاعر : وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر .

ويقول واصفًا رسل الله ومصورًا لهم بأنهم شموس فضل أضاءت ظلمة الطرق للناس:

وَكلُّ آيٍ أَتَىٰ الرُّسْلُ الكِرامُ بها فإنما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بهِمِ

فإنَّه شّمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها يُظْهِرْنَ أَنْوَارَها للناسِ في الظُّلَمِ

يقول : إن كل آية جاء بها الرسل الكرام إنما هي نور وهداية متصل من نور النبي محمد ﷺ ، وما ذلك إلا لأنها نبعت من نبعه ، وأضاءت من نوره، فإذا كانت الكواكب تستمد نورها من الشمس ، وتأخذ حرارتها وحياتها منها ، فإن النبي ﷺ هو شمس الأنبياء والرسل الكرام من حوله كواكب تأخذ من نوره ، وتهتدي بهديه ، والرسل جميعا هم مصابيح

الدجي وشموس الهدىٰ التي تنشر النور والهداية ، فتبدد الظلمات وتنير الليالي الحالكات .

فقد جمع البوصيري في هذه الثنائية بين النور والشمس والكواكب والأنوار من جهة ، والظلم من جهة أخري ، وأرىٰ أنه ذكر كل تلك الأنوار ودلائلها مقابل ذكر الظلام فقط ليؤكد أن سبل الخير كثيرة ،وطرق الهداية عديدة ، وذلك لمن أراد الهداية وطلب العون ، أما الظلام والكفر فطريقه واحد والكفر ملة واحدة ، ومن خلال هذه الضِّديَّة بيَّن وأظهر الفارق الكبير بين الكفر والإيمان . قال تعالىٰ : ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المائدة:١٦].

وفي موضع آخر يقول:

دَعْنِي وَوَصْفِي آياتٍ لهُ ظَهَرَتْ ظُهورَ نارِ القِرَىٰ لَيْلًا عَلَىٰ عَلَمِ

يطلب من سامعه أن يتركه مع وصفه لمآثر النبي ﷺ ومحاسنه ، وألا يحاول إيقافه أو ثنيه عن ذلك ،فلا مجال لإنكار منكر ، أو تكذيب مكذب ، فقد ظهرت دلائل نبوته وبراهين رسالته كظهور نار فوق قمة جبل أشم في ليل مظلم . والبيت ليس ببعيد عن قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فهو يحمل ذات الصورة التي رسمتها الخنساء في وصف أخيها صخر حينما كان العرب يشعلون نارًا علىٰ رؤوس الجبال في ظلام الليل ؛ ليهتدي إليها الضيفان ويؤول إليها العربان ، كل من ضل طريقه ، أوضاع منه سبيله .

فكما ترىٰ فقد قابل بين صورة النار المضيئة وبين ظلمة الليل البهيم .

وفي ثنائية النور الظلمة يقول أيضا واصفًا مشهدًا من مشاهد رحلة الإسراء:

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَىٰ حَرَمٍ كما سَرَىٰ البَدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

يصور مسرىٰ النبي ﷺ من الحرم المكي إلىٰ الحرم القدسي في ليل مظلم وهو يشق بنوره تلك الظلمات ،وينير بضيائه تلك الحالكات بالبدر في حالك الظلم حين ينشر ضوءه ويبعث نوره فيبدد كل ظلمة ، وينير كل فلك .

فثنائية النور والظلمة-كما رأيت- لها نصيب وافر في قصيدة البردة ؛ ليؤكد المعنىٰ الذي أراده من أن الرسول الكريم هو النور الذي أرسله ربه رحمة للعالمين ، ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلىٰ نور الإيمان والعلم .

رابعًا: ثنائية الحب والألم:

إن المشاعر الإنسانية التي أودعها ربُّ البريَة في البشر تتجلَّىٰ معظمها في إحساس الحب ونقيضه ، والحبُّ هو مطلب شرعي للمؤمن حتىٰ يكتمل إيمانه ، وهو شرط وضعه رسول السلام والحبِّ ليصبح المؤمن كامل الإيمان ، فلا يؤمن حتىٰ يحبَّ الله ورسوله أكثر من حبِّه لنفسه ، وأن يحبَّ لأخيه المؤمن ما يحبُّ لنفسه ، وأن يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول الكريم ﷺ .

ومن هذا المنطلق كان للحُبِّ في قصيدة البوصيري مكان شائق رائق ، فالقصيدة في مجملها هي بركان من الحُبِّ دائم الثوران ، ونهر من العشق دائم الجريان ، وغيث دائم الهطول ، وعلىٰ مَرِّ الزمان تغنىٰ بها المادحون ،

ونسج علىٰ منوالها العاشقون ، تعبيرًا عن المحبة لرسول المحبَّة ومنبع الرحمة والمودة .

يقول البوصيري في مفتتح بردته متغزلا ومُحبًّا:

فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتا ... وَما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ؟

لولاَ الهَوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَىٰ طَلَلٍ ... ولا أَرِقْتَ لِذِكرِ البَانِ والعَلَمِ

فكيفَ تُنْكِرُ حُبًّا بعدَ ما شَهِدَتْ ... بهِ عليكَ عدولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

وَأَثْبَتَ الوجدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنىً ... مِثْلَ البَهارِ عَلَىٰ خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

نَعَمْ سَرَىٰ طَيفُ مَنْ أهوَىٰ فَأَرَّقَنِي ... والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالأَلَمِ

تقابلنا الثنائيات الضِّديَّة في البيت الأول ما بين الطلب والرفض ، طلب للعيون أن تكفَّ عن البكاء ، فإذا بها تزيد من الهطول ، وطلب للقلب أن يستفيق من الهيام ، فإذا به يزيد من الهيام والتمادي في الحبِّ ، ويؤكد ذلك في البيت الثالث بقوله: إنه لولا عذابات الحب وتباريح الهوىٰ لم تسكب عين دمعة ، ولم يبك المحبِّون علىٰ الأطلال ، ولم تذرف العيونُ الدموعَ عند رؤية البان والعلم وأماكن اللقاء ، وفي البيت الرابع يسأل مستنكرا متعجبًا: كيف ينكر المُحبُّ حُبَّه وقد ظهرت عليه كلُّ علاماته ودلائله وشهد عليه الشهود العدول التي لا ترد شهادتهم ؟

ولم يجد بُدًّا من الاعتراف بأن طيف المحبوب قد زاره فأرَّقه وأذهب نومه ، وقضَّ مضجعه ، وتلك هي طبيعة الحبِّ الذي يعترض اللذات بألم الشوق وعذابات الوجد ، فقال:

نَعَمْ سَرَىٰ طَيفُ مَنْ أهوَىٰ فَأَرَّقَنِي ... والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالأَلَمِ

فالتضاد بين اللذة والألم ، والنوم والأرق ،والحب والألم كلها ثنائيات تثير الشجن وتشحذ الفكر .

ويقول أيضا:

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عَنْ العُذَّالِ فِي صَمَمِ

فقابل بين النصح بالكلمة ، وبين عدم الاستماع لها ، ثم برَّر ذلك بقوله: إن المحبَّ حينما يذوب في حُبِّه فكأنما أصابه الصمم ، فلم يعد يستمع إلىٰ عاذل أو ينصت إلىٰ ناصح .

فثنائية السمع والصمم ، والحب والعذل تعطي البيت رونقًا رائعا خاصة حينما ساق التبرير النفسي لعد الاستماع للنصيحة أو حتىٰ الالتفات للوم العاذل .

خامسًا: ثنائية الصدق والكذب.

إن الصدق والكذب ثنائية ضدية تفرق ما بين المؤمن وغيره فرسول الله ﷺ نفىٰ الإيمان عن الكاذب ، وذلك حين سُئِل أيكون المؤمن كذابا ؟ فقال لا .

ومعنىٰ ذلك أن الإيمان نقيض الكذب ، فالإيمان هو التصديق والصدق ، ولا يمكن أن يجتمع الإيمان والكذب في قلب رجل ، ورسول الله ﷺ هو الصادق المصدوق ، بل الصدق بعينه وذاته ، وصاحبه هو الصديق ، فيصور البوصيري اجتماعهما في الغار فيقول:

فالصِّدْقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما وَهُمْ يقولونَ ما بالغارِ مِنْ أَرِمِ

وحين نصف النبي وصاحبه بالصدق ففيه إشارة إلىٰ وجود الكذب في أعدائهما والمعاندين لهما .

كما يقابل الصدق والتصديق بالإنكار في قوله:

لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إنَّ لَهُ ... قَلْبًا إذا نامتِ العَيْنانِ لَمْ يَنَمِ

وذاكَ حينَ بُلوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ ... فليسَ يُنْكِرُ فيهِ حالٌ مُحْتَلِمِ

تَبارَكَ اللهُ ما وحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ ... وَلا نَبِيٌّ عَلَىٰ غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

فلا يستطيع أحد أن ينكر صدقه وأمانته ، فهو عندهم الصادق الأمين ، كما أنه لا ينكر علىٰ النبي أن يأتيه الوحي في الرؤىٰ ، فرؤيا الأنبياء وحي صادق ، كما جاء في رؤيا إبراهيم عليه السلام من ذبح ولده إسماعيل في قوله تعالىٰ "يا بني إني أرىٰ في المنام أني أذبحك" فإذا نامت عين النبي –صلىٰ الله عليه وسلم– فإن قلبه لا ينام ، فليس هناك وحي يكتسب ، وإنما هو اختيار الله واصطفاؤه لأنبيائه ، لذا لا يتهم نبي إذا ما أخبر بغيب أو أنبأ بحدث مستقبلي ، فما ذلك من عند النبي وإنما هو وحي من الله أطلع النبي عليه قال تعالي قوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [سورة الجن:٢٦-٢٧].

فالتضاد هنا بين صدق النبيِّ فيما يخبر به من وحي سواء أكان يقظةً أم رؤيا ، وبين وإنكار المنكرين وتكذيب المشركين .

سادسًا: ثنائية الكفر والإسلام:

كما نجد في قصيدة البوصيري ثنائية الكفر والإسلام كما في قوله:

مِـــنْ كـــلِّ مُنْتَـــدِبٍ للهِ مُحْتَسِـــبٍ يَسْـطو بِمُسْتَأْصِـلٍ لِلْكُفْـرِ مُصْـطَلِمِ

حتَّـىٰ غَـدَتْ مَلَّـةُ الإسـلامِ وهِـيَ بِهِـمْ مِـنْ بَعْـدِ غُرْبَتِهـا مَوْصُـولَةَ الـرَّحِمِ

فذكر في البيت الأول الكفر وما فيه من قطيعة وجفاء وعداوة كانت بين الناس ، ثم ذكر الإسلام في البيت الثاني وما فيه من صلة للأرحام وأخوة الإسلام والمودة والرحمة بين المؤمنين .

المبحث الثاني:- ثنائيات التضاد الطباقي

أولًا: تضاد المطابقة:

التضاد مفهوم بلاغي قديم صنفه أغلب القدماء في حقل البديع ، وعرَّفوه علىٰ أنه واحد من اثنين ، التضاد باللفظ والتضاد بالمعنىٰ ، "فالمتضادان هما اللذان ينفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا علىٰ الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد و البياض"[(١)] وذلك عند أبي هلال العسكري فالطباق يعني" الجمع بين الشيء وضده في أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد ، والليل والنهار ، والحر والبرد"[(٢)]

ويعد تضاد المطابقة ظاهرة واضحة وجلية في قصيدة البوصيري ، فقد عمد إليها كثيرا ؛ لما لها من دلالات نفسية وفلسفية وتأملية تزيد من وضوح المعني وتعمق دلالته كتضاد الموت والحياة والليل والنهار والأمر والنهي كقوله:

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ أَبَرَّ فِي قَوْلِ لا مِنْهُ وَلا نَعَمِ

فهو هنا يؤكد علىٰ أن الأمر والنهي في هذا الدين هو خاص بخاتم النبيين وسيد المرسلين ، ولا يملك أحد غيره أن يأمر أو ينهي في أمور الدين إلا هو ، فالله –عز وجل– قال في حقه : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ

---

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق :أبي عمرو عماد زكي الباروي، المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر :١٦٤

(٢) كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق :علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ٣٠٧ط ١، ١٩٥٢:

تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ [سورة آل عمران: ١٣٢]. وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر: ٧].

فليس لأحد سواه أن يأمر أو ينهي ، فلا يوجد في هذا الكون أبر من رسول الله في قوله إن وعد أو أقسم بنفي أو بإيجاب .

فجمع بين (الآمر والناهي/ نعم ولا) في تضاد طباقي يؤكد قصر الأمر والنهي علىٰ النبي الأكرم ﷺ .

وله أيضا قوله:

وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ[1]

يحذر ويقول: احذر ما قد تغريك به النفس من إيثار للجوع تقشفا ، أو إيثار للشبع تلذذا ، فليست المخمصة شرا كلها ، ولا التخمة كذلك ، فنرىٰ تضاد المقابلة في قوله (الجوع والشبع/ والمخمصة والتخم) . وقوله:

طارَتْ قلوبُ العِدا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا فما تُفَرِّقُ بينَ البَهْمِ والبُهَمِ[2]

وقد أفزع الأعداء قتال أولئك المجاهدين وشدتهم في الحرب ، حتىٰ اضطربت قلوبهم هلعا ، فباتت غير قادرة في المعركة علىٰ التمييز بين البهائم من الضأن والشجعان من الناس لما أصابها من الدهشة والحيرة . أو لنقل: باتت تتخيل كل البهائم أفراسا ، ويجوز أن يكون الضمير في (تفرق)

---

(١)الدسائس :جمع دسيسة وهي المكر الخفي .المخمصة :المجاعة .التخم :الواحدة منها تخمة، ما يصيبك من الطعام إذا استوخمته، واستوخم الطعام :لم يستمرئه ولم يحمد مغبته

(٢) فرقا: خوفا. البهم: أولاد الغنم والبقر وغيرها، واحدها بهمة. البهم: الشجعان، جمع بهمة.

للمخاطب ، ويكون معنىٰ (البهم) الجبناء مجازا . فيصير المعنىٰ: لقد أرهب قتال المسلمين هؤلاء الكفار جميعا علىٰ حدّ سواء حتىٰ إنك لو رأيتهم لا تفرّق بين شجاعهم وجبانهم .

فالتضاد التقابلي بين (الأعداء) المذكور لفظا وبين المسلمين الظاهر معنىٰ ، وبين (البَهم و البُهم)

وفي قوله:

كفاكَ بالعِلْمِ في الأُمِيِّ مُعْجِزَةً في الجاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ في اليُتُمِ

ومعنىٰ البيت أن معجزاته ﷺ كثيرة وشهيرة فإذا نظرت إليها بعين البصيرة كفاك يا من تطلب المعجزات أن تعرف أنه النبي الأمّي الذي لم يجلس إلىٰ معلم من المعلمين ، ولا تعلم الكتابة والقراءة من الأدباء والكاتبين ، في زمان كثر فيه الجهل ، وقل في العلم ، وبفضل الله قد أصبح معلمًا للمتعلمين ، ومؤدبًا للمتأدبين ، وما ذلك إلا من عند الله رب العالمين، فقد نُسب إليه ﷺ قوله "علمني ربي فأحسن تعليمي وأدبني ربي فأحسن تأديبي" (١) وكذا كفاك كونه مُؤدَبًا بمكارم الأخلاق والخصال ، ومُتأدِبًا علىٰ وجه الكمال في أوان يُتْمِهِ ، وزمان حداثة سنه وأول خلقته .

فنرىٰ التضاد الطباقي بين (العلم والأميّ / وبين التأدب واليتم) وذكرت اليتم مقابل التأدب ؛ وذلك لأن اليتيم ربما لا يجد من يقول علىٰ تأديبه وتهذيبه ، فيكون فاقدًا لتلك الخصال ، أما في النبيِّ ﷺ فقد أوكل ذلك إلىٰ الله الذي تولي رعايته وعنايته في قوله: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [سورة الضحى:٦-٧].

(١) الجامع الصغير للسيوطي ص ٣٠٩

ومثل ذلك تضاد تقابلي بين الدمع والدم في قوله:

أمِـــنْ تَـــذَكُّرِ جِيـــران بِـــذِي سَـــلَمٍ مَزَجْـتَ دَمْعًـا جَـرَىٰ مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ

وبين البرق والظلماء في قوله:

أمْ هَبَّـــتْ الـــريحُ مِـــنْ تِلْقـــاءِ كاظِمَـــةٍ وأوْمَضَ البَرْقُ فِي الظلْماءِ مِنْ إضَمِ

وبين اكففا وهمتا وبين استفق ويهم في قوله:

فمـــا لِعَيْنَيْـــكَ إنْ قُلْـــتَ اكْفُفـــا هَمَتـــا وَمـــا لِقَلْبِـــكَ إنْ قُلْـــتَ اسْـــتَفِقْ يَهِـــمِ

وبين الحب والألم في قوله:

نَعَـمْ سَـرَىٰ طَيْـفُ مَـنْ أهـوَىٰ فَـأَرَّقَنِي والحُـــبُّ يَعْتَـــرِضُ اللَّـــذاتِ بـــالأَلَمِ

وبين مبتدأ مختتم في قوله:

أبـــانَ مَوْلِـــدُهُ عَـــنْ طِيـــبِ عُنْصُـــرِ يـــا طِيـــبَ مبتـــدأ منـــه ومُخْتَـــتَمِ

وتضاد تقابلي بين (الدين والدنيا / الآجل والعاجل/ البيع والسلم/ والخسارة والربح) في قوله :

فيـــا خَسَـــارَةَ نَفْـــسٍ فِي تِجَارَتِهـــا لَـــمْ تَشْـــتَرِ الـــدِّينَ بالـــدُّنيا ولَـــمْ تَسُـــمِ

وَمَـــنْ يَبِـــعْ آجِـــلًا منـــهُ بِعاجِلِـــهِ يَـــبِنْ لـــهُ الغَـــبْنُ فِي بَيْـــعٍ وَفِي سَـــلَمِ

وتضاد تقابلي بين (اليد والقدم) في قوله:

إنْ لَـــمْ يَكُـــنْ فِي مَعـــادِي آخِـــذًا بِيَـــدِي فَضْـــلًا وَإلاَّ فَقُـــلْ يـــا زَلَّـــةَ القَـــدَمِ

وأيضا بين (القنوط والغفران / والكبائر واللمم) في قوله:

يـــا نَفْـــسُ لا تَقْنُطِـــي مِـــنْ زَلَّـــةٍ عَظُمَـــتْ إنَّ الكَبَـــائِرَ فِي الغُفْـــرانِ كـــاللَّمَمِ

لقد استطاع الشاعر أن يجسد مجموعة كبيرة من الدوال ضمن إطار متشابه صوتيًا وتركيبًا إذ جاءت الأبيات متوازنة صوتيًا وتركيبيًا محدثةً انسجامًا صوتيًا قد يحقق بفعل تراكم تلك الدول المتشابهة التي حققت

حاجة شعورية يقتضيها الموقف الشعري ، ويبدو أن هذا التوازن حقق إيقاعًا متناغمًا مع حالة الشاعر النفسية التي تجنح إلىٰ التوازن والاتزان ضمن حياة مليئة بالتناقضات فوجد أن في تضاد الطباق فسحة رحيبة في التعبير عن مكنون نفسه ، وخلجات قلبه ، يستطيع من خلاله توصيل المعنىٰ في أوضح صورة ، وأفصح بيان .

المبحث الثالث:- ثنائيات التضاد بالسلب (تضاد النفي)

النفي ضد الإثبات ، ويعني ما هو موجود مقابل ما هو معدوم ، أو ما هو مثبت مقابل ما هو منفي ، وبعبارة أخرىٰ يمكن القول إنَّ أسلوب النفي هو "أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول وهو أسلوب نقض وإنكار يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب خطأ مما اقتضاه أن يسعىٰ لإزالة ذلك الوهم أو الظن بأسلوب النفي وبإحدىٰ طرائقه المتنوعة الاستعمال"(١)

وعرفه عبد القادر الجرجاني بقوله: "إن المتقابلين بالإيجاب والسلب أمران أحدهما عدمي والآخر مطلق كالفروسية واللافروسية"(٢)

أما أبو هلال العسكري فقد أسماه السلب والإيجاب بقوله:" وهو أن يُبْنَىٰ الكلام علىٰ نفي من جهة ، واثبات من جهة أخرىٰ ، أو الأمر به من جهة والنهي عنه من جهة "(٣)

كما نجد السيوطي قد جعله قسمًا من أقسام الطباق وأطلق عليه طباق النفي وعرَّفه بقوله:"هو الجمع بين مشتقين من مصدر واحد ، أحدهما مثبت والآخر منفي ، أو في حكمة كالأمر والنهي بمعنىٰ أن التنافي بين اللفظين المتحدي المعنىٰ يكون بحسب النفي والإثبات أو الأمر والنهي"(٤)

وللإمام البوصيري الكثير من ثنائيات التضاد بالسلب في قصيدة البردة من ذلك قوله:

---

(١) في النحو العربي، نقد وتوجيه، مهند المخزومي ص ٦

(٢) التعريفات للجرجاني ١٦١

(٣) الصناعتين، لابي هلال العسكري :٤٤٥ وينظر :معجم البلاغة العربية.

(٤) عقود الجمان في المعاني والبيان، للسيوطي ٨٤

كـأَنَّهمْ في ظُهُـورِ الخَيْـلِ نَبْـتُ رُبًـا مِـنْ شَـدَّةِ الحَـزْمِ لاَ مِـنْ شِـدَّةِ الحُـزُمِ

يصور الفرسان وهم على ظهور خيولهم في ثبات ورفعة بالنباتات الطالعة على أعالي التلال ، تقف شامخة عالية لا تؤثر فيها الرياح العاتية ، وهي ثابتة راسخة في مكانها فأصولها ثابتة وفروعها في السماء ، وما هذا الثبات إلا من قوة الحزم وشدة البأس وليس من شدة وقوة الأحزمة التي تلتف حول أجسام الفرسان أو أجساد الخيول .

ولا يخفى هذا التضاد بالنفي في قوله (من شدة الحَزم / لا من شدة الحُزُم) كما نرى هذا الجناس الرائق في قوله الحَزم والحُزُم .

وفي قوله:

أَمَرْتُـكَ الخَيْـرَ لكـنْ مـا ائْتَمَـرْتُ بـه وما اسْـتَقَمْتُ فما قَـوْلِي لَـكَ اسْـتَقِمِ

يخاطب صاحبه قائلًا: إني أمرتك بالمعروف وأردت لك الخير ، فأسديت لك النصح وصدقتك القول ولكنك لم تأتمر بأمري ولم تستمع لنصحي ، فعملت على مخالفة الأمر وترك العمل بالنصح ، ولما لم أجد لنصحي عندك فائدة فقد قررت عدم التمادي في النصح أو قولي لك استقم ، لأنني علمت أنك لن تستمع لنصيحة ولن تنتفع بموعظة .

وفي هذا البيت تضاد بالسلب والنفي في قوله:(أمرتك وما ائتمرت/ وما استقمت واستقم)

وله أيضا قوله:

مـا سـامَنِي الـدَّهْرُ ضَـيْمًا وَاسْـتَجَرْتُ بـه إلّا ونلـت جـوارًا منـه لـم يضـم

لا تُنْكِـرِ الـوَحْيَ مِـنْ رُؤْيَـاهُ إنَّ لـهُ قَلْبًـا إذا نامـتِ العَيْنَـانِ لَـمْ يَـنَمِ

يقول البوصيري: إنه في كل أحواله متعلق بجناب النبي الأكرم ﷺ وخاصة حينما يعضه الدهر بنابه ويطغى عليه بظلمه ، فإنه يستجير بالله

مستشفعًا بجناب النبي الكريم ، وساعتها فإنه يلجأ إلىٰ حصن حصين وجوار مكين ، لا يضام فيه ولا يصبه ظلم من أحد .

وفي البيت الثاني يخاطب من ينكر الوحي في رؤيا النبي ﷺ ويخبره أن رؤيا الأنبياء حق ، فإذا نامت عيون النبي ﷺ فإن قلبه لا ينام .

ولا يخفىٰ علىٰ لبيب هذه الثنائيات الضِّديَّة التي في البيتين في قوله:(ضيم ولم يضم/ واستجرت وجوار/ نامت ولم ينم) .

وله أيضا قوله:

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهورَ نارِ القِرَىٰ لَيْلًا عَلَىٰ عَلَمِ

فالدُّرُّ يَزدادُ حُسْنًا وَهْوَ مَنْتَظِمٌ وَلَيسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غيرَ مَنْتَظِمِ

يطلب من مخاطبه أن يترك له الفسحة في القول حتي يتمكن من وصف آيات ومعجزات النبي الأكرم ﷺ فقد ظهرت لعين كل ناظر ولعقل كل بصير كما تظهر النار ليلًا في أعلىٰ قمم الجبال ، فإذا أراد أن يرتِّبها بترتيبها الزمنيّ وسياقها التاريخي ، أو أن يصنفها في صنوف مختلفة فإن ذلك يزيدها حسنًا وجمالًا وألقًا ، وكذلك إذا ظلَّت كما هي بلا ترتيب ولا تصنيف تظل بنفس قيمتها الفريدة وعظمتها المبهرة ، وذلك كمثل الدُّر فإنه إذا ما انتظم في عقد بدا جميلًا رائعا ، ولا يقلل من قدره ولا ينقص من قيمته إذا بقي غير منتظم .

فترىٰ التضاد بالسلب في قوله (يزداد ولا ينقص / ومنتظم وغير منتظم) .

كما استخدم التضاد السلبيّ في قوله:(دامت ولم تدم)

دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كلَّ مُعْجِزَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جاءَتْ ولَمْ تَدُمِ

فمعجزة النبي الأكرم –صلىٰ الله عليه وسلم– معجزة خالدة خلود السنين ، و باقية بقاء الدهر ، وهذا ما يجعلها تفوق كل معجزة لأي نبيٍّ سابق ؛ وذلك لأن معجزات الأنبياء حصلت مرة واحدة وشاهدها الحاضرون للموقف آنذاك ، أم القرآن فهو بين أيدينا شاهد بالإعجاز في كل

الأمور ، وناطق بالحق في كل العصور والدهور ، فاستخدم الفعل "دامت" إشارة إلىٰ القرآن الكريم معجزة سيد المرسلين وخاتم النبيين ، واستخدم " لم تدم" إشارة إلىٰ معجزات الأنبياء السابقين .

كما استخدم التضاد بالسلب بين (لائمي ولم تلم) في قوله:

يـا لائِمِـي في الهَـوَىٰ العُـذْرِيِّ مَعْـذِرَةً مِنِّـي إليـكَ ولـو أَنْصَـفْتَ لَـمْ تَلُـمِ

كما نلمس هذا التضاد بالسلب في قوله:

ظَنُّـوا الحَمـامِ وظَنُّـوا العَنْكَبُـوتَ علـىٰ خَيْـرِ البَرِيَّـةِ لَـمْ تَنْسُـجْ ولـمْ تَحُـمِ

ظن المشركون ظنين الأول: أن الحمام لم تحم عند باب الغار من أجل حماية النبي ﷺ

وإنما هي قد بنت عشها ووضعت بيضها منذ وقت بعيد ، والظن الثاني: أن العنكبوت أيضا لم تنسج خيوطها علىٰ فم الغار من أجل حماية النبي وتضليل المشركين ، بل ظنوا أنها قد نسجت تلك الخيوط منذ وقت طويل ، ولا يمكن لإنسان أن يدخل هذا الغار دون المساس بالحمائم ، أو المرور من بين خيط العنكبوت ، ولكن قدرة الله فوق كل قدرة فقد جعل هذه المخلوقات الضعيفة تقوم بحماية نبيِّه وصاحبه ؛ حتىٰ يتيقن الناس أن الله قادر علىٰ أن يحفظ عباده ويحميهم بما لا يخطر علىٰ بال إنسان ، وما لا يتوقعه إنس ولا جان ، فالله يسخر ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء .

فالتضاد بين أنها لم تنسج من أجل حماية النبي وقد نسجت ، وبين أن الحمائم لم تحم لحفظه ورعايته وقد فعلت .

المبحث الرابع:- ثنائيات التضاد اللوني:

تعد الألوان المتقابلة من أنواع التضاد ؛ لأن التضاد القائم علىٰ اللون له قيمة فنية وتصويرية جمالية ، ونعلم أن الأشياء تزداد حسنًا بالتضاد ، فالألوان تكشف عن دلالات فنية وتعبيرية إيحائية عند استخدامها في النصوص الشعرية ؛ وذلك لأن لدىٰ الألوان القدرة علىٰ تحريك هذه النصوص وفتح فضاء تأويليٍّ ، فضلًا عن ذلك فإن للون لفظة تعبيرية تحوّل الألفاظ والمعاني إلىٰ دلالات مرسومة ومتلونة"[1]

وتتضح وتظهر أهمية اللون عند اجتماعه مع لون آخر مضاد له ، فيشكل بذلك تضادًا لونيًا ، وتأتي وظيفة التضاد اللونيّ عندما تتشكل الصورة الشعرية كاملة فترىٰ الدور الذي يلعبه اللون في رسم الصورة ، كما ترسم الألوان الصورة في اللوحات الفنية ، ويرىٰ بعض الباحثين أن للتضاد اللوني وظيفة مهمة عند تشكيله هذه الصور الشعرية علىٰ الرغم من حجمها في الظاهر بين نقيضين ، وفي الحقيقة بين أصل دلاليٍّ واحدٍ فالأبيض والأسود قد يكونان مختلفين في الإحساس بهما متضادين داخل الصورة ، ولكن في الحقيقة تجمعهما دلالة واحدة هي الدلالة اللونية"[2]

وغالبًا ما ينطلق"التوظيف الفني للون من مرجعيات معرفية أو من اللاوعي المعرفي للشاعر فقد يستخدم اللون للتعبير عن الحالة النفسية المراد إيصالها للمتلقي أو لرسم صورة شعرية بالألوان"[3] فالألوان هي

(١) بنية التضاد في شعر ابن حمديس، فاتن طه أحمد ٨٣

(٢)) بتصرف من صورة اللون في الشعر الاندلسي، د.حافظ المقري ٣٤١

(٣)) الشعر والرسم، مي زيادة ٤٦

رموز ودلالات مظهرية متحركة إذ تتعزز رؤية الشخص المتلقي بهذه القيم التي تمثل أبعادًا دلاليةً وحسيةً عميقةً والتي تزداد عمقًا بدخولها في عمق نسيج الصياغة الشعرية فاللون ينفذ إلىٰ أجواء نفسية عميقة"[١]

ومن استعمال التضاد اللونيّ في قصيدة البردة قول البوصيري:

المُصْدِرِي البِيضَ حُمْرًا بعدَ ما وَرَدَتْ مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

يقول: امدح الأصحاب الكرام والأبطال العظام بأنهم المصدرون السيوف المصقولة متلطخة بدماء الكفار بعد ما اتصلت تلك السيوف ووصلت إلىٰ رؤوسهم ، وبعد ما قطعتهم بأبدانهم وأفراسهم ، فنعم السيوف سيوفهم ونعم النفوس نفوسهم ، فامدح هؤلاء الفرسان الذين إن وردوا المعركة بسيوف بيض لم يرجعوا حتىٰ تصطبغ سيوفهم بدماء رؤوس الكفار .

وقد أدىٰ اللون هنا الدور الأبرز في رسم الصورة فالسيوف حينما وردت إلىٰ المعركة كان بيضاء اللون ، ثم تخضبت تلك السيوف من دماء الأعداء فاكتست باللون الأحمر فصدرت من المعركة والحمرة تكسوها ، ثم هناك لون آخر في البيت وهو اللون الأسود الذي وصف به رؤوس الأعداء ، فقال : "مسود من اللِمم" واللمم بكسر اللام جمع لِمَّة ، وهي الشعر المسترسل الىٰ المنكب ، والمراد منبتها وهو الرأس والتعبير بالمسود اشارة إلىٰ الكفار المقتولين بأنهم أولو قوة .

ولا يخفىٰ هذا التضاد بين الأبيض والأحمر في لون السيف قبل وبعد المعركة ، والأبيض والأسود في الشطر الثاني دلالة القوة والبأس في الأعداء ، وفي هذا دلالة علىٰ قوة المعركة وشدتها حيث لم يكن العدو ضعيفًا أو

(١)) ينظر :اللون في الشعر الاندلسي حتىٰ نهاية عصر الطوائف ٢٠٨

سهلا ، وإنما هم رجال سود ، ومعلوم أن السود فيهم الشدة والبأس والقوة ،ومع ذلك فقد كان المسلمون أقوىٰ وأشد فهزموهم بإذن الله .

ولَمَّا بين كون الصحابة ماهرين في استعمال السيوف أراد أن يبين كونهم حاذقين في استعمال السهام أيضًا فقال:

وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

إنّ الصحابة كانوا يكتبون وينقشون علىٰ صفحات أجسام العدو المهزولة التي هي كالحرف المهزول بالرماح الخطية المأمونة من الانكسار، وما تركت أقلامهم التي هي كالرماح طرف جسم من الكفار إلا جعلته منقوطًا ومطعونًا ومنقوشًا بالآثار .

فالسمر كالحمر جمع أسمر والمراد به نِصَالُ الرمَاح . والخط اسم بلدة في البحرين نسب إليها الرماح أعني خشبها يقال: رماح خطية أي رماح حسناء ذات قيمة عالية ، ووصف لون خطها بالأسمر دلالة علىٰ ما تتركه في أجساد الأعداء ، والأسود هو من الألوان الظاهرة الواضحة حينما تكتب به في الصفحات البيضاء ، ثم يؤكد أن هذه الرماح التي تشبه الأقلام قد كتبت في هذه الأجساد التي تشبه الصفحات فلم تترك مكانًا إلا وخطت فيه خطوطها دلالة علىٰ كثرة الضرب والطعن ، فدلالة اللون الأسود المذكور مقابلة مع اللون الأبيض المفهوم من أجساد الأعداء وتصوير ذلك بالقلم وفعله في الورق واضحة جليَّة ، ولا يخفىٰ استخدام المجاز الرائق في قوله "الكاتبين بسمر الخط" فقد أعطت للصورة بريقًا وجمالًا رائعًا وراقيًا .

ويقول في بيت آخر:

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ به مِنَ العُصاةِ وقد جاءُوهُ كَالحُمَمِ

يقول : إن هذه الآيات تشفع لقارئها حتىٰ يبيض وجهه ويدخل الجنة ، كما تبيض وجوه العصاة بنهر الحياة بعد خروجهم من النار سودا كالفحم ، فيدخلون الجنة"(١)

فقابل علىٰ صورة التضاد اللوني بين بياض وجوه المؤمنين حين يشربون من الحوض الشريف ، وبين السواد في أجساد الذين يخرجون من النار بعدما امتحشوا واحترقوا وصاروا كالحمم من الاحتراق ، وهذا يذكرنا بقوله تعالىٰ في التضاد اللوني بين وجوه المؤمنين التي ابيضت بين وجوه الكافرين التي اسودت في قوله:قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٦-١٠٧].

وله قوله أيضا:

وأحْيَـــتِ السُـــنَّةُ الشَـــهْبَاءُ دَعْوتُـــهُ حتىٰ حَكـتْ غُـرَّةَ في الأعْصُـرِ الـدُّهُمِ

(١) روىٰ البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ويدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار ثم يقول : إن ظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون منها حمّما فيلقون في نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبَّة إلىٰ جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية» [انظر البخاري في الكتاب الثاني، الباب: ١٥، ومسلم: في الكتاب١ الحديث ١٤٨ و ٢٩٩

السنة الشهباء :المجدبة التي لا محصول زراعيا فيها ونقيضها: السنة الخضراء .

وحكت :شابهت . الغرة :البياض في جبهة الفرس . الدهم :السود .

والمعنىٰ أن من معجزاته عليه الصلاة والسلام أنه دعا الله تعالىٰ في السنة المجدبة ، فنزل الغيث وعم الخصب ، حتىٰ كانت تلك السنة المخصبة كالغرة البيضاء في سني القحط المظلمة .(١)

ونرىٰ هذا التضاد اللوني في قوله (غرة في الأعصر الدُّهم) فالغرة البيضاء أظهر ما تكون في رأس الحصان الأسود الذي وصفه بالأدهم وهو شديد السواد ، كما نلحظ هذا التضاد الآخر بين السنة الشهباء المذكورة مقابل السنة الخضراء المفهومة ضمنًا ، وقد أدىٰ التضاد اللوني الدور الأكبر في توضيح الصورة ، فتلك السنة الخضراء بدعاء النبي وسط السنوات المجدبة القاحلة كالغرة البيضاء في رأس الحصان الأسود .

وممن المعنىٰ القريب من ذلك ما يصف به نذير الشيب وهو (الشعر الأبيض) الذي بدأ يغزو رأسه فقال:

---

(١) روىٰ الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال :أصاب أهل المدينة قحط علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فبينا هو يخطب يوم جمعة قام رجل فقال: يا رسول الله هلكت الكراع -أي هلكت الشاء - فادع الله يسقينا. فمد يديه ودعا .قال أنس :وإن السماء كمثل الزجاجة ، فهاجت ريح أنشأت سحابا ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتىٰ أتينا منازلنا فلم نزل نمطر إلىٰ الجمعة الاخرىٰ فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله يحبسه، فتبسم النبي صلىٰ الله عليه وسلم ثم قال:حوالينا لا علينا. فنظرت إلىٰ السحاب تصدع حول المدينة كأنه إكليل.

إِنِّـي اتهَمْـتُ نَصِـيحَ الشَّـيْبِ فِي عَـذَلٍ والشِّـيْبُ أَبْعَـدُ فِي نُصِـحٍ عَـنْ الـتُّهَمِ
فـإِنَّ أَمَّـارَتِي بالسُّـوءِ مـا اتَّعَظَـتْ مِـنْ جَهْلِهَـا بنـذيرِ الشِّـيْبِ وَالهَـرَمِ

والمعنىٰ: أني أشك في كل ما ينصحني به شيبي من التزام الوقار رغم أنه أبعد النصحاء عن التهمة والريب ، وإنما وصلت إلىٰ حالة اتهام الشيب فيما مضىٰ ، لأن نفسي الأمارة بالسوء قد غلبت عليّ ، فباتت لا تتعظ بتخويف الشيب وإنذار الشيخوخة بقرب الأجل .

فاللون الأبيض دليل الشيب والكبر والعجز في تضاد مع الشعر الأسود دلالة الشباب والقوة والفتوة ، واللون ينذر صاحبة بوجوب الالتزام .

المبحث الخامس:- ثنائيات التضاد السياقي(١)

السّياق في اللّغة لفظ ذو تشكّلات عديدة ، وفي لسان العرب لابن منظور جاء بمعنىٰ المتابعة ، ومنه " ساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا ، وتساوقت الإبل أي تتابعت " (٢) وجاء في أساس البلاغة للزمخشري أنّ من المجاز قولهم : " فلان يسوق الحديث أحسن سياق" ، و" هذا الكلام مساقه إلىٰ كذا" (٣) .

ويقصد به هنا النمط الذي يتّخذه الحديث في تتابعه ، وليس بعيدًا عن ذلك ما ورد في المعجم الوسيط : ساق الحديث : سرده وسلسله ، وساوقه: تابعه وسايره وجاراه ، وسياق الكلام : تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"(٤) . والمتتبع لتطور الكلمة لغويًا يجد أنها قد مرّت بتطوّرات عديدة حتّىٰ وصلت إلىٰ معناها الذي نعرفه اليوم . ولعل كُتب التفسير وكُتب الأصول من أوائل الكُتب التي تبلور فيها معنىٰ السياق كمصطلح ، كما نجد ذلك في (الرسالة) للإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) (٥) .

وتُطلق لفظة (السياق) في عُرف المفسّرين علىٰ الكلام الذي خرج مخرجًا واحدًا ، واشتمل علىٰ غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلّم ، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد ، وقد تدلّ علىٰ السياق ألفاظ أخرىٰ ؛ كالمقام ، ومقتضىٰ الحال والتأليف ، وغيرها .

---

(١) بتصرف من الخطاب القرآني خلود علموش ص٢٦ / ٢٧

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادّة (سوق).

(٣) الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادّة (سوق).

(٤) مجمع اللّغة العربية ، المعجم الوسيط ، مادة (سوق).

(٥) الشافعي ، الرسالة ، ص ٥٨.

ويُعـرّفُ السـياق في المعـاجم الحديثـة بأنّـه" بيئـة الكـلام ومحيطـه وقرائنه"[١] ويعرّفه آخرون بأنّه" علاقة البناء الكلّي للنصّ بأيّ جزء من أجزائه" [٢]

وتشير هـذه المعـاجم إلىٰ تضـافر سياقات عديـدة في النـصّ تسـاهم في صياغة الرسالة اللّغويّة ، وهي: السياقات النحويّة ، والبلاغيّة ، والصوتيّة . وانطلاقًا منها يتداخل العديد من الاعتبارات النفسيّة والاجتماعيّة [٣]

ولعل أكثر من اهتم بالمعنىٰ السياقي هم علمـاء الدلالـة ، وقصـدوا بـه المعنىٰ الـذي يستخرجه المخاطـب مـن الكـلام اسـتنادا للسـياق ، كمـا في بحوث جون لاينز [٤] ، وفيرث .

والسياق نوعان :الأول : السياق اللغـوي ، والثـاني :السـياق الحـالي ، والأوّل منهما هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناهـا الخـاص في الحـديث أو النصّ ؛ فهو يزيل اللبس عن الكلمة ، بينمـا سـياق الحـال أو المقـام يزيـل اللبس عن الجمل والنصوص ، والسياق بهذا المفهوم يتعدّىٰ ما هو معروف من حيث إنّه تتابع للأصوات والألفاظ ليشمل فضـلًا عـن ذلـك الجـوّ البيئي والنفسي المحيط بكلّ من المتكلّم والسامع .

ودراسة النصّ اللّغـوي وفهمـه فهمًـا عميقًـا يحتـاج معرفـة بالعوامـل السياقيّة ، وفي مقدّمتها الثقافة والبيئة والوسط الاجتماعي ، ويعبّر غراهام هو

(١) رمزي البعلبكي ، معجم المصطلحات اللغوية ، ص ١١٩ .

(٢) محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظري ، ص ٥٧ .

(٣) إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، مادة سياق. ومجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب ، ص ٨.

(٤) جون لاينز ، علم الدلالة ، ترجمة محمد عبد الحليم الماشطة وآخرون ، ص ٨٠.

(Graham hough) عن هذا المعنىٰ بقوله : " إنّ قراءة القصيدة خارج سياقها لا تعدّ قراءة أبدًا" (١) .

وتتجلىٰ قيمة السياق في بيان دلالتين مختلفتين لكلمة واحدة واستبعاد معنىٰ دون غيره وعند

توظيفه في نظم الكلام يكون له دلالة أخرىٰ ، إن دخول الكلمة في سياق خاص من النص يمثل أسلوب المبدع الذي يستثمر فيه طاقاته الشعرية وهذا " التضاد ليس مرجعه إلىٰ الوضع اللغوي وإنما أسلوب الشاعر وحده"(٢)

إن معرفة السياق وإدراكه هو عملية ضرورية لتذوق النص وتفسيره ؛ ذلك لأن النص هو الأساس الذي تنطلق منه الدراسة وتنتهي عند الذات الشاعرة ومدىٰ استجابتها للانفعالات النفسية وما يرافقها من انزياحات عن القواعد المألوفة ، فالشاعر حينما يضع لنا لفظًا ليس متضادًا أو متقابلًا لغويا مع لفظ آخر ، فإن ذلك يثير فيك الدهشة ويدعوك إلىٰ التفكير والتساؤل: لِمَ عَدَل الشاعر أو الأديب عن التضاد اللغوي وألجأنا إلىٰ التضاد الذي يريده ويقصده ؟ ، بل ويدفعنا إلىٰ المعنىٰ الذي راح إليه لحاجة في نفسه يود منا أن نشاركه فيها .

وهذا ما سنعمل على بيانه في الصفحات التالية .

(١) غراهام هو ، الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة كاظم سعد الدين ، ص ٥٢.

(٢) خصائص الأسلوب في الشوقيات، عبدالهادي الطرابلسي١٠٢

ذكرنا أنه تتجلىٰ قيمة السياق في بيان دلالتين مختلفتين لكلمة واحدة واستبعاد معنىٰ دون غيره ، وعند توظيفه في نظم الكلام يكون له دلالة أخرىٰ ومن أمثلة ذلك في قصيدة البردة قول البوصيري:

عَـــدَتْكَ حـــالِي لا سِـــرِّي بِمُسْـــتَتِرٍ عَـــنِ الوُشـــاةِ وَلا دائـــي بِمُنْحَسِـــمِ

فقوله (وما دائي بمنحسم) فضد الداء الشفاء والصحة والسلامة ، والمعنىٰ المباشر للحسم هو القطع والبت ، ولكنه عدل عن ذلك المعنىٰ إلىٰ معنىٰ الإزالة تقول: "حسم الداء" أي أزاله بالدواء ،والمعنىٰ ليس هناك طريق للشفاء من هذا الداء الذي أصابني ، فـ(منحسم) تفيد انقطاع هذا الداء وزواله وحسم أمره بشكل نهائي ، فسرُّه لم يعد مستورا ، وداؤه لا يرجىٰ برأه .

وله قوله:

وشـــدَّ مِـــنْ سَـــغَبٍ أحشـــاءهُ وَطَـــوَىٰ تَحْـتَ الحِجَـارَةِ كَشْـحًا مُتْـرَفَ الأَدَمِ

وَرَاوَدَتْـــهُ الجِبـــالُ الشُّـــمُّ مِـــنْ ذَهَـــبٍ عَـــنْ نَفْسِـــهِ فأراهـــا أَيُّمـــا شَـــمَمِ

وَأَكَّـــدَتْ زُهْـــدَهُ فيهـــا ضـــرُورَتُهُ إنَّ الضَّـرُورَة لا تَعْـدُو علـىٰ العِصَـمِ

والمعنىٰ : أن النبي ـﷺـ كان يعصب بطنه الشريف من ألم الجوع ، ويشد علىٰ خصره الناعم الحجر والحجرين تخفيفًا لهذا الألم[1] وعلىٰ الرغم من جوعه هذا ، فقد جاءه جبريل بعرض ربّاني أن يجعل له الجبال العظيمة

(١) روىٰ البخاري عن جابر رضي الله عنه قال:" إنا كنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا إلىٰ النبي ﷺفقالوا :هذه كدية عرضت في الخندق .فقال:أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا" صحيح البخاري ٤١٠١

المهيبة ذهبًا خالصًا[1] فترفع عن ذلك وأحبَّ أن يعيش حياة الزهد الشديد ، والدليل الأكبر والأظهر هو ذلك الرفض لهذا العرض بالثراء الكبير والعطاء الوفير ، علىٰ الرغم من الحاجة والعوز الشديدين ،ولكنه لا يلين عوده من الفقر ، ولا يجبره العوز إلىٰ حبِّ الدنيا أو طلب متاعها .

وقد استخدم البوصيري التضاد السياقي في هذه الأبيات الثلاثة في عدة مواضع منها :" تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ" فجعل الحجارة الصلبة الخشنة القاسية والتي ضرب الله بها المثل في القسوة في قول تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [سورة البقرة: ٧٤] .في مقابل خصره الشريف الموصوف بالرقة وجلده الشريف الموصوف باللين ، فالمضاد للحجارة في القسوة هو الماء في اللين ، ولكنه عدل عن الماء ، وأحدث التضاد بين قسوة الحجارة ولين الجلد ، وكان لهذا التضاد الأهمية الكبرىٰ في إظهار هذا المعني في ثوبه القشيب .

وفي قوله:

وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فأراها أَيُّمَا شَمَمِ

يظهر التناص مع الآية الكريمة :﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [سورة يوسف:٢٣]، ويستدعي تلك القصة من العرض الشغوف والإلحاح الكبير من طرف ، وبين هذا الصد والإعراض والإباء والشمم من

(١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن النبي ﷺقال» :عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، فقلت :لا يا رب، ولكن أشبع يوما، وأجوع يوما، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك - «رواه الترمذي وقال :هذا حديث حسن٢٣٤٧ ورواه أحمد في المسند ٣٦/ ٥٢٨ .

الطرف الآخر ، فكما عرضت زوج العزيز نفسها علىٰ النبي يوسف ـ عليه السلام ـ فرفض وأبىٰ ، فكذلك عرضت الجبال علىٰ نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تكون له ذهبًا ، ولكنه رفض ذلك في رفعة وشمم .

فقابل صورة مراودة زوجة العزيز وهي العظيمة في قومها بمراودة الجبال العظيمة في خلقها ، وقابل رفض الاستجابة من يوسف ـ عليه السلام ـ برفض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرض الجبال الذهبية ، وهو رفض فيه من العلو والشمم مالا تعرفه الجبال وما لم تألفه الأحوال ، ومقابل المراودة الرفض ولكن عدل إلىٰ قوله: فأراها أيَّما شمم ، وهو الكبرياء والترفع الذي لا نظير له .

ويقول:

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إنَّ المُحِبِّ عَنْ العُذَّالِ في صَمَمِ

فمضاد النصح هو الغواية ولكنه قابله بنفي السمع (لست أسمع) ، فعدل عن المعنىٰ الأصلي إلىٰ معنىٰ الغواية ، وعدم الامتثال للنصيحة ، كما أتىٰ بتضاد ثان في الشطر الثاني بين (المحب والعذال) فمضاد المحب المبغض ، ولكنه عدل عن المضاد وقابله بالعاذل وهو اللائم في تناسب سياقي يتطلبه الموقف ، فالمحبون دائمًا نجد لهم من يبغضهم أو يلومهم علىٰ محبتهم .

ويقول أيضًا:

والنَّارُ خامِدَةُ الأنفاسِ مِنْ أَسَفٍ عليهِ والنَّهْرُ ساهي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيْرَتُها ورُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حينَ ظَمِي

والمعنىٰ أن نار الفرس سكنت فجأة ، وهي التي كان يعبدها الفرس ، وقد خمدت ألسنتها عن الاشتعال ؛ أسفًا علىٰ ما حلَّ بالكفر وأهله بعد ولادته النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وجفَّت الينابيع حزنًا علىٰ الكفر وأهله ، كما أحزن أهل

مدينة ساوة ما حلَّ ببحيرتهم ، إذ غار ماؤها في الأرض ونَضُبَ حتىٰ صارت يبسًا ، ورجع كل من كان يقصدها للشرب في حالة غضب كبيرة لما يستشعره من ألم العطش ، فاجتمع عليه الغضب والعطش معًا .

فقابل النار بالنهر علىٰ وجه التضاد ، والسياق هنا يستدعي معنىٰ الماء وليس معنىٰ النهر بكليته ، وقابل خامدة الأنفاس بـ ساهي العين ، وقابل الأسف بالسدم وهو الحزن ، كما نجد التضاد في البت الثاني فيقوله (رد واردها) وهو الورود إلىٰ الماء بغية الشرب والصدور عنه بعد الارتواء ، ولكنه لم يرجع مرتويًا بل رجع بعطشه وغيظه الكبيرين بعد أن وجد البحيرة قد جفَّت ، ونَضُبَ ماؤها .

وفي قوله:

مِثْلَ الغَمَامَةِ أَنَّىٰ سَارَ سَائِرَةٌ تَقِيهِ حَرَّ وطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

نراه قد أجرىٰ التضاد بين الحر والغمام ، والسياق يقتضي الحر والظل وهذا هو المعنىٰ الذي قصده الشاعر ، فعدل عن معنىٰ الغمام الذي يحمل المطر ، وساقنا إلىٰ المعنىٰ الذي قصده وهو الظل .

وفي قوله:

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَىٰ الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ لولاهُ لَمْ تُخْرِجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

فنرىٰ التضاد بين الخروج والعدم ، والأصل أن يقابل الخروج بالدخول، أو أن يقابل العدم بالوجود ، ولكن السياق ينبئنا أن معنىٰ الخروج هنا هو الحياة والدنيا بأسرها ، والشاعر يرىٰ أنه لولا رسول الله ﷺ لم يكن للدنيا وجود ولا حياة علىٰ الأرض أصلا .

ونرىٰ التضاد السياقي في قوله:

ومَـا حَـوَىٰ الغـارُ مِـنْ خَيـرٍ وَمِـنْ كَـرَمٍ وكـلُّ طَـرْفٍ مِـنَ الكُفَّـارِ عنـه عَمِـي

فقابل العمىٰ بالطرف وهو العين الجارحة ، والمعنىٰ المراد والمفهوم من السياق هو الإبصار والرؤية ، التي أداته العين .

وله قوله:

مِـنْ بَعْـدِ مـا أَخْبَـرَ الأقْـوامَ كـاهِنُهُمْ بـأنَّ ديـنَهُمُ المُعْـوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ

نجد التضاد الساقيَ بين (المُعوجِّ ولم يقم) ومضاد المُعوجِّ المستقيم ، ولكنه جاء بقوله لم يقم –الفعل المنفي– وضدها قام الفعل المثبت أو الضد وهو قعد أو جلس ، ولما كان الوقوف والقيام فيه معنىٰ الاستواء والاعتدال فقد جاء به في مقابل الاعوجاج ، والسياق هو الذي قرر هذا المعنىٰ من نفي الاستقامة والاعتدال .

ويقول:

وَكيـفَ يُـدْرِكُ في الـدُّنيا حَقِيقَتَـهُ قَـوْمٌ نِيَـامٌ تَسَـلَّوْا عنـهُ بـالحُلُمِ

فنراه قد قابل الإدراك بالنوم ،ومضاد النوم الصحو واليقظة ، ومضاد الإدراك الغفلة ، ولكن السياق يقتضي أن يكون الإدراك هنا بمعنىٰ الفهم والتعقل .

وله قوله :

قـد تُنْكِـرُ العيْنُ ضَـوْءَ الشَّـمْسِ من رَمَـدٍ ويُنْكِـرُ الفَـمُّ طَعْـمَ المـاءِ مـن سَـقَمِ

فقابل بين ضوء الشمس وبين الرمد والمقصود السياقي هو العمي ،وبين الفم والسقم والمقصور هنا المرارة التي يجدها المريض حين لا يستطيع حتىٰ شرب الماء .

ويقول:

خَفَضْتَ كُلَّ مَقامٍ بالإضافَةِ إذْ نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

والمعنىٰ أن النبي برفعته ومقامه العالي عند ربِّه قد خفض كل مقام دونه لأنه أصبح الأعلىٰ مقامًا ومكانًا حينما أضاف الله اسمه ﷺ إلىٰ اسمه –عز وجل– في الأذان والإقامة والتشهد وغيرها ، وما ذلك إلا حينما ناداه ربه بالرفع وحق المنادي المفرد العلم هو وجوب الرفع ، ولا تخفىٰ هذه الروعة من البوصيري في تطويع قواعد النحو لبيان مكانة النبي الأكرم ﷺ بهذا الجناس الرائع .

فقابل بين الخفض والرفع ،فالخفض يعنىٰ دنو المنزلة وتقليلها ، ويعني أيضا الجر الذي هو ضد الرفع ، ويؤيد ذلك أن الخفض سببه الإضافة ، فالمضاف إليه مجرور بالإضافة ، ولكن الإضافة هنا من الله لنبيه ، فهي سبب رفع للنبي وخفض من دونه ،لأن أحداً لم ينل هذه المكانة عند الله غير نبينا الأكرم –ﷺ– ولكن المعنىٰ السياقي لا يعني الخفض بمعني الجر والكسر وإنما خفض كل مكانة دون مكانة النبي محمد ﷺ عند ربِّه .

ويقول أيضًا:

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَىٰ مِنْهُ يَدًا تَرِبَتْ إنَّ الحَيا يُنْبِتُ الأزهارَ في الأُكَمِ

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنيا التي اقتَطَفَتْ يَدَا زُهَيْرٍ بما أَثْنَىٰ عَلَىٰ هَرَمِ

فالتضاد بين (الغنىٰ ويد تربت) ومعنىٰ يد تربت أي التصقت بالتراب ،وهي كناية عن الفقر وهو ما يستدعيه السياق ويتطلبه ، وذكر العلمين (زهير بن أبي سلمىٰ وهرم بن سنان)وقصتهما معروفه ، فالسياق يقتضي معنىٰ الكريم المعطاء والشاعر المُعطَىٰ ،فالأسماء هنا خرجت من معناها إلىٰ المعنىٰ المقصود في السياق وهو العاطي والآخذ .

الفصل الثالث
الثنائيات الضِّديَّة اللفظية .

المبحث الأول:- الثنائيات الاسمية .

المبحث الثاني:- الثنائيات الفعلية .

المبحث الثالث:- الثنائيات الجامعة .

الفصل الثالث :- الثنائيات الضِّديَّة اللفظية

ذكرنا سابقا أن من النقاد من قسم التضاد من حيث اللغة فجعل الألفاظ المستخدمة في إجراء عملية التضاد هي مناط التقسيم ، فقسمه علىٰ النحو الآتي :

١- **الثنائيات الاسمية :** وهي التي يكون فيها اللفظان المتضادان اسمين مثل كبير وصغير وكريم وبخيل .

٢- **الثنائيات الفعلية :** وهي التي يكون فيها اللفظان المتضادان فعلين مثل يغدو ويروح ،ويصعد وينزل ، وقام وقعد . .الخ

٣- **الثنائيات الجامعة :** وهي التي تجمع بين الاسم والفعل ، فيكون أحد طرفي التضاد اسمًا ويكون الطرف الآخر فعلا مثل يبخل والكرم ، والنور وأظلم .

وفي هذا الفصل نبين هذه الثنائيات التي حفلت بها بردة البوصيري

المبحث الأول:- الثنائيات الاسمية

ويستخدم التضاد بين الأسماء في كثير من أبيات القصيدة ، ولعل دلالة الأسماء أقوىٰ من الأفعال ؛ وذلك لما في معنىٰ الأسماء من الثبات والاستقرار ، أما الأفعال فإنها قابلة للتغيير ، فما كان في الماضي ربما لا يكون في الحاضر ، وقد يتغير في المستقبل ، وكذلك الفعل المضارع رغم ما يحمله من معنىٰ الاستمرارية والدوام ، إلا أنه قابل للتغيير مستقبلًا ، وربما لم يكن موجودًا قبل ذلك ، وفعل الأمر هو مطلوب وقوعه وحدوثه بعد زمن الكلام ،وبالتالي فهو لم يكن موجودًا قبل ذلك وغير حاصل الآن .

وللإمام البوصيري في بردته الكثير من الثنائيات الضِّديَّة بين الأسماء، من ذلك قوله:

أَعْيَا الوَرَىٰ فَهْمُ معْناهُ فليس يُرَىٰ ... في القُرْبِ والبُعْدِ فيهِ غيرُ مُنْفَحِمِ(١)

والمعنىٰ: أنه قد عجز الناس جميعهم عن فهم حقيقته وأسراره ، فما من إنسان بعيد عنه أو قريب منه إلا كان عاجزًا عن إدراك خصوصية هذه الذات النبوية واستيعاب سجاياها وخصالها العليَّة .

ونلحظ هذا التضاد في (القرب والبعد) ليشمل كل إنسان سواء أكان قريبًا منه أو بعيدًا عنه .

وقوله:

وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ ... فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ(٢)

(١) أعيا: أعجز. الورىٰ: الخلق. منفحم: عاجز أو مبهوت.

(٢)الدسائس :جمع دسيسة وهي المكر الخفي .المخمصة :المجاعة .التخم :الواحدة منها تخمة، ما يصيبك من الطعام إذا استوخمته، واستوخم الطعام :لم يستمرئه ولم يحمد مغبته

والمعنىٰ : يخاطب الشاعر سامعيه ناصحًا ومحذِّرًا فيقول: احذر ما قد تغريك به النفس من إيثار للجوع تقشفا ، أو إيثار للشبع تلذذا ، فليست المخمصة شرا كلها ، ولا التخمة كذلك ، فنرىٰ الثنائية الضِّديَّة بين اسمين (الجوع والشبع) وبين (المخمصة والتخمة) وينبه إلىٰ ضرر الأمرين فليس الجوع والمخمصة خيرا في كل حال ، كما أن الشبع والتخمة ليستا خيرا في كل حال ، وإنما المطلوب الاعتدال والوسطية ، وهذا ما قرره القرآن الكريم في كثير من الآيات ، والرسول الأكرم في العديد من الأحاديث .

كما نجد العديد من الثنائيات الضِّديَّة في قوله:

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَىٰ الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ ... لولاهُ لَمْ تُخْرِجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

مُحَمَّدُ سَيِّدَ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْنِ ... والفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فلاَ أَحَدٌ ... أَبَرَّ فِي قَوْلِ لا مِنْهُ وَلا نَعَمِ

فنري التضاد في البيت الأول بين (الدنيا والعدم) وفي البيت الثاني بين (الكونين) ويقصد بها الدنيا والآخرة ، وبين (الثقلين) وهما الجن والإنس ، و(الفريقين)وذكرهما العرب والعجم ، وفي البيت الثالث نرىٰ هذا التضاد بين(الآمر والناهي وبين لا ونعم) ، وبجمع كل هذه الأضداد فمحمد- ﷺ- هو سيد كل هؤلاء وخيرهم وأفضلهم عند الله .

وله قوله أيضا في الجمع بين الثنائيات الضِّديَّة اللفظية بين الأسماء قوله:

أبانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِ ... يا طِيبَ مبتدأ منه ومُخْتَتَمِ

فرسول الله -ﷺ- شريف النسب بل هو أشرف نسب في الوجود فهو خيار من خيار من خيار ، وهو القائل " إن اللهَ اصطفىٰ كنانةَ من ولدِ

إسماعيلَ ، واصطفىٰ قريشًا من كنانةَ ، واصطفىٰ من قريشٍ بني هاشمٍ ، واصطفاني من بني هاشمٍ"[١]

فهو أفضل العرب والعجم ولا فخر وهو سيِّد الأولين والآخرين فنرىٰ هذه الثنائية في قوله (مبتدأ ومختتم) واستخدام المصدر دلالة قوية علىٰ عظيم أصله وشريف نسبه -ﷺ- ، فالمصدر هو أصل الكلام ويحمل كل المعاني التي يمكن أن تشتق منه ، واستخدام الشاعر له يفيد الثبات والاستمرارية والدوام .

وله أيضًا الكثير من الثنائيات الضِّديَّة الاسمية في أبيات متتالية كقوله معاتبًا نفسه علىٰ خسارتها حين لم تشتر الدين بالدنيا ،وكان أحق وأربح ، فكيف تشتري العاجلة الفانية ونترك الآجلة الباقية الخالدة ؟

فيا خَسَارَةَ نَفْسٍ في تِجَارَتِها لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَمْ تَسُمِ
وَمَنْ يَبِعْ آجِلًا منهُ بِعاجِلِهِ يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وَفي سَلَمِ

ففي البيت الأول التضاد بين (الدين والدنيا) ونلحظ مقابلة (الخسارة والتجارة)والمفترض فيها الربح ، وفي البيت الثاني ثنائية (الآجل والعاجل) و(البيع والسلم) والبيع: هو المدفوع الثمن في وقت البيع ،والسلم: هو البيع المؤجل الدفع .

كما أحدث التضاد بين (الأنوار والظُلم) بصيغة الجمع هذا الجمال الرائق في رسم الصورة ، فالنبي ﷺ أينما حَلَّ وحيثما حَلَّ كان النور الذي يبدد كل الظلمات ويزيل كل الغشاوات . يقول:

فإنَّه شّمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها يُظْهِرْنَ أَنْوَارَها للناسِ في الظُّلَمِ

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البرج ١ ص ١٣٤ .

ومثل ذلك نلحظ الثنائيات الضِّديَّة في الكثير من أبيات البردة ، ومن ذلك علىٰ سبيل الإجمال

التضاد بين (محدثة وقديمة) في قوله:

آيـاتُ حَـقٍّ مِـنَ الـرَّحْمنِ مُحْدَثَـةٌ قَدِيمَـةٌ صِـفَةُ المَوصـوفِ بالقِـدَمِ

كما نجد الثنائية الضِّديَّة بين (العلم والأمي وبين الجاهلية والتأديب) يقول:

كفـاكَ بـالعِلْمِ في الأُمِـيِّ مُعْجِـزَةً في الجاهِلِيَّـةِ وَالتَّأْدِيـبِ في اليُـتُمِ

وبين (فرد وحشم وعسكر) في قوله:

كأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جلالَتِـهِ في عَسْـكَرٍ حـينَ تَلْقَـاهُ وفي حَشَـمِ

وبين النار والماء في قوله:

كـأنَّ بالنـارِ مـا بالمـاءِ مِـنْ بَلَـلٍ حُزْنًـا وَبالمـاءِ مـا بالنَّـارِ مِـنْ ضَـرَمِ

وبين مخدوم وخدم في قوله:

وَقَـدَّمتْكَ جَميـعُ الأنبيـاءِ بِهـا والرُّسْـلِ تَقْـدِيمَ مَخْـدُومٍ عَلَـىٰ خَـدَمِ

وبين الكبائر واللمم في قوله:

يـا نَفْـسُ لا تَقْنُطِـي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ إنَّ الكَبَـائِرَ في الغُفْـرانِ كـاللَّمَمِ

وغير ذلك مما يجعل الصورة أكثر جمالا وألقًا .

❁❁❁❁❁

المبحث الثاني:- الثنائيات الفعلية

وهي التي يكون فيها اللفظان المتضادان فعلين مثل يضحك ويبكي ،ويموت ويحيىٰ ، وقام وقعد . .الخ

ونجد في بردة البوصيري الكثير من الثنائيات الضِّديَّة بين الأفعال ، من ذلك التضاد بين (تشتري وتبيع) في قوله:

فيا خَسَارَةَ نَفْسٍ في تِجَارَتِها لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَمْ تَسُمِ

وَمَنْ يَبِعْ آجِلًا منهُ بِعاجِلِهِ يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وَفي سَلَمِ

كما نجد هذا التضاد بين الفعلين (اكففا وهمتا وبين استفق ويهم)يقول:

فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتا وَما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

فكلما طلب من عينيه أن تكف عن سكب الدموع لم تطاوعه ، بل تفعل العكس تماما ،فإذا هي تزيد من سكب الدموع ، وكلما طلب من قلبه أن يستفيق من سكرته ويصحو من غفلته ،فإذا به يزيد في هيامه ، فالتضاد هنا أظهر أن عينه لا تطاوعه ، وقلبه لا يطيعه ، فالحب أقوىٰ من أن يتحكم به العقل ، والمشاعر أكبر من أن تخضع لسلطان المنطق .

كما نجد التضاد بين الفعلين (تنكر وتشهد)في قوله:

فكيفَ تُنْكِرُ حُبًّا بعدَ ما شَهِدَتْ بهِ عليكَ عدولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

ونلحظ أن الفعل الأول (تنكر)جاء بصيغة المضارعة التي تفيد الحال والاستقبال ، بينما الفعل الثاني (شهدت) ويفيد ذلك بأن إنكارك الحب شيء جديد عليك وهو وليد اللحظة ، بينما الفعل شهدت يفيد الماضي ، فقد شهدت عليك منك شهود ، فدموعك الهطَّالة ، وجسدك

السقيم أدلة دامغة علىٰ ما فعله الحب فيك من أفاعيل ، فلن يفيد إنكارك في شيء ، فما هو ثابت ومستقر عندنا تلك الشواهد من الدموع والسقم .

وله قوله:

واسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قد امْتَلأَتْ مِنَ المَحارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

إنه يقدم النصح لمن يخاطبه ذاك الذي أسرف علىٰ نفسه في المعاصي ، وأهلك نفس بالسيئات حتىٰ ظن أنه لا سبيل إلىٰ توبة ولا طريق إلىٰ أوبة ، فنراه يقدم له العلاج الشافي والنصح الوافي ،وذلك حين يدله علىٰ طريق التوبة والأوبة ، ويبين له شروطها ، وأول الشروط بعد الإقلاع عن الذنب هو الندم الذي هو ركن التوبة وأساسها ، ويظهر هذا الندم في البكاء واستنزاف الدموع من العيون التي امتلأت بالنظر إلىٰ محارم الله ، ولكي نُطَهِّر هذه العيون فلابد من غسلها بماء الندم ودموع الحسرة ، وكأنه حين يستفرغ دموعه من العيون التي نظرت إلىٰ محارم الله يقابل فعل المعصية بفعل التوبة، أو يقابل الذنب بالندم عليه .

فنري الثنائية بين الفعلين (استفرغ وامتلأت) قد أدت المعنىٰ بشكل لافت وماتع .

وله أيضًا قوله:

يا لائِمِي في الهَوَىٰ العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّي إليكَ ولو أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

فنرىٰ ثنائية الفعلين (أنصفت وتلم) واستخدم صيغة الماضي في الفعل أنصفت دلالة علىٰ عدم المصداقية والإنصاف في الماضي مما أدي إلىٰ اللوم في الزمن الحالي الذي جاء بصيغة المضارع نتيجة للفعل الأول .

وله أيضًا قوله:

فالـــدُّرُّ يَـــزدادُ حُسْـــنًا وَهْـــوَ مَنْـــتَظِمٌ وَلـــيسَ يَـــنْقُصُ قَـــدْرًا غيـــرَ مَنْـــتَظِمِ

فنرىٰ ثنائية الفعلين (يزداد وينقص)

وقوله:

عَمُـــوا وَصَـــمُّوا فـــإعْلانُ البَشـــائِرِ لَـــمْ تُسْـــمَعْ وَبارِقَـــةُ الإنْـــذَارِ لَـــمْ تُشَـــمِ

والمعنىٰ: أنه وعلىٰ رغم ما ظهر من الآيات المشاهدة والمسموعة عند ولادته ﷺ ، جحد الكفار بها فأعموا أبصارهم عنها وأصموا آذانهم عن سماع تلك الإنذارات ببعثته عليه الصلاة والسلام ، فنلحظ ثنائية الفعلين (عموا ولم تشم ، وبين صموا وتسمع) .

المبحث الثالث:- الثنائيات الجامعة

وهي التي تجمع بين الاسم والفعل ، فيكون أحد طرفي التضاد اسمًا ويكون الطرف الآخر فعلا مثل يبخل والكرم ، والنور وأظلم .

ونجد عند البوصيري الكثير من هذه الثنائيات ، ومن ذلك ما نراه في مقابلة الفعل (أبرأت) بالاسم (الوصب) وهو المريض والفعل (أطلقت) والاسم (ربقة) في قوله:

كَمْ أَبْرَأَتَ وَصِبًا بِاللَّمْسِ راحَتُهُ وأَطْلَقَتْ أَرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ(١)

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِبًا بِاللَّمْسِ راحَتُهُ = وأَطْلَقَتْ أَرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

والمعنىٰ: كم مرة مسحت يده الشريفة عاهة امرئ فعوفي من ساعته ، وخلّصت من كان يعاني من أسر الجنون فعوفي منه .

فقابل الفعل (أبرأت) المفيد الماضي وإمكان وقوعه في الحاضر ، بالاسم (وصبا) وهو المريض السقيم والذي يعنىٰ قديم المريض وصاحب تاريخ طويل معه . كما نجد أيضا ثنائية بين الفعل (أطلقت)بصيغة الماضي بالاسم (ربقة) وهو الحبل الموثوق .

وله قوله:

ما حُورِبَتْ قَطّ إلاّ عادَ مِنْ حَرَبٍ أَعْدَىٰ الأعادي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ

والمعنىٰ: أنه لم يعارض هذه الآيات المعادون لها إلا رجع أشدهم عداوة لها- بعد شدة وعناد- مستسلما معترفا بعجزه وقصوره ، فألقىٰ السَّلم واعترف بالعجز ، فنري ثنائية بين الفعل (حورب) و الاسم (ملقي السَّلم)

(١)وصبا :مريضا .راحة الكف :بطنها .الأرب :صاحب الحاجة .الرّبقة :الحبل الموثق .اللّمم :الجنون .أبرأت :شفت.

كما نجد هذه الثنائية الخالدة في البيت الأشهر ، والذي تصلح ، وعدم ترك الأمور راح يضرب به المثل في أخذ الأمور بالحزم والشدة أحيانا ؛حتىٰ علىٰ حالها من السوء ،بل لابد من المحاولة ،وساعتها ستحصد نجاحا لا محالة . . . يقول:

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَىٰ حُبِّ الرِّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فنراه قابل بين الاسم (حب الرضاع) وبين الفعل (ينفطم) فالرضاع والفطام يكونان هذه الثنائية الضِّديَّة ، واستخدم الاسم في حب الرضاع دلالة الاستمرارية والدوام ، فلو تركت نفسك علىٰ سجيتها وهواها فسوف تظل في الشهوات وستستطيب الملذات ، وتلك هي طبيعتها التي فطرها الله عليها ، ولكن إذا روضتها وأدبتها أطاعتك وانقادت لك ، وذلك مثل الطفل الرضيع إن تركته بدون فطام سيظل يرضع ، وسوف يشب علىٰ ذلك ، وإن فطمته فسوف ينفطم ، واستخدم الفعل ينفطم دلالة علىٰ أن الفعل حدث وتم بمجرد القيام به في الحال .

كما نجد ثنائية بين الفعل (يلقاهم)وجملة (ودوا الفرار) في قوله:

مـا زالَ يَلْقـاهُمَ في كـلِّ مُعْتَـرَكٍ حتىٰ حَكَوْا بالقَنا لَحْمًا علىٰ وَضَمِ[1]

وَدُّوا الفِـرارَ فكـادُوا يَغْبِطُـونَ بـهِ أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبَانِ والرَّخَمِ[2]

والمعنىٰ أن النبي ﷺ لم ينفك يقاتلهم في كل موقعة ، حتىٰ تركهم أشلاء كاللحم علىٰ الوضم ، وقد لاقوا من جيشه ﷺ القتل الشديد ، حتىٰ صار هروبهم من ساحة القتال أمنية لهم ، فكادوا يحسدون قطع اللحم التي ترتفع بعيدًا عن المعركة بين مخالب العقبان والرّخم .

(١) حكوا :شابهوا .الوضم :خشبة اللحام.

(٢) أشلاء :أعضاء .شالت :ارتفعت .العقبان والرخم :جمع عقاب ورخمة، نوعان من لواحم الطير

وقد اختار صيغة الفعل المضارع (يلقاهم) مسبوقة بقوله (مازال) للتأكيد علىٰ استمرارية اللقاء وتواصله واتصاله ، فلم يقعد النبي ص عن لقاء الأعداء ولم يتخلف عن ملاقاتهم في ساحات المعارك ؛ وذلك لشجاعته وإيمانه القويين ، ثم قابل ذلك بضده بجملة (ودُّوا الفرار) فجاء بالفعل ودُّوا بصيغة الماضي وكأن هذا دأبهم من أول الأمر ،وتلك عادتهم دائما ، ثم لم يذكر الفاعل الصريح بل أتىٰ بواو الجماعة بدلًا عنهم ؛ تحقيرًا لهم واستصغارًا لأمرهم ، ثم ذكر المفعول به (الفرار) والذي يحمل المعنىٰ المضاد للقاء ليفيد اتصافهم بهذا الوصف في كل حال .

ونرىٰ هذه الثنائية الرائعة في قوله:

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ بِه مِنَ العُصاةِ وقد جاءُوهُ كَالحُمَمِ

هذه الآيات تشفع لقارئها حتىٰ يبيض وجهه ويدخل الجنة ، كما تبيض وجوه العصاة بنهر الحياة بعد خروجهم من النار سودا كالفحم ، فيدخلون الجنة(١)

ونراه قد قابل الفعل (تبيض) في مقابل الاسم (الحمم) فالمؤمنون تبيض وجوههم يوم القيامة : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة

(١) روىٰ البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ويدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار ثم يقول : إن ظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون منها حمّما فيلقون في نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلىٰ جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية» [انظر البخاري في الكتاب الثاني، الباب: ١٥، ومسلم: في الكتاب (١) الحديث (١٤٨ و ٢٩٩)

آل عمران:١٠٦]" وهنا ذكر عصاة المؤمنين حين يخرجون بشفاعة الشافعين ورحمة رب العالمين فيخرجون وقد امتحشوا واحترقوا وتفحموا من النار حتىٰ اسودَّت أجسادهم فصارت سوداء كالفحم ، ثم تدركهم رحمة ربهم فيرجعون كما كانوا ثم يدخلون الجنة .

وله ثنائية بين الفعل (أحيا) والاسم (دارس الرمم)وهو الميت منذ زمن بعيد حتىٰ رمَّ عظمه ، يقول:

لـــو ناسَـــبَتْ قَـــدْرَهُ آياتُـــهُ عِظَمًـــا أحْيا اسمُهُ حِينَ يُدْعَىٰ دَارِسَ الرِّمَمِ

والفعل أحيا بصيغة الماضي يفيد أن من سبق النبي ص لو كان دعا باسمه الأموات لقاموا من رقادهم ؛ وذلك لعظيم مكانته عند رب العالمين ، تلك المكانة التي لم يصل إليها نبي مرسل ولا نبي مقرب .

وله قوله:

وخـالِفِ الـنَّفْسَ والشَّـيْطَانَ واعْصِـهِمِا وإنْ هُمَـا مَحَّضَـاكَ النُّصْـحَ فـاتَّهِمِ

والمعنىٰ: ولا تطع نفسك ولا الشيطان في شيء مما يأمرانك به أو ينهيانك عنه ، ولا تمش وفق مرادهما ، فإن زعما أنهما قد أخلصا لك النصح فانسبهما إلىٰ الخيانة والخداع ولا تصدق قولهما ، فإنهما عدوان مبينان لك .

فقابل بين الفعلين(خالف واعص) اللذين جاءا بصيغة الأمر ليظل هذا ديدن المخاطب دائمًا ، وبين الاسم (النصح) والذي معناه هنا الوسوسة الشيطانية والغواية النفسية ، وهي بصيغة الاسم تدل علىٰ دوام الوسوسة ، وبقاء هوىٰ النفس اللذان لا ينتهيان أبدا ، حتىٰ وإن لبسا ثوب الناصح ، فاتهمها بالغواية ، ولا تلق لهما بالًا ، ولا تستمع لهما أبدًا .

وله أيضا قوله:

خَفَضْـــتَ كـــلّ مَقـــامٍ بالإِضـــافَةِ إذْ نُودِيـــتَ بـــالرَّفْعِ مِثْـــلَ المُفْـــرَدِ العَلَـــمِ

ولما بلغت تلك المرتبة ، تدنّت دون مقامك المقامات ، وناداك الله تعالىٰ نداء مخصوصًا لرفع شأنك بين الأنبياء كما خصّ المفرد العلم بالرفع من دون أقسام المنادىٰ .

فنرىٰ هذه الثنائية الضِّديَّة بين الفعل (خفضت) وبين الاسم (الرفع) ونلحظ هذه البراعة في استخدام الجناس فالرفع الإعرابي في المنادىٰ وهو وجوب الضم ، والرفع المعنوي وهو من الرفعة والمكانة السامية التي وصل إليها رسول الله – ﷺ – ولم يصل إليها غيره ، فأصبح كل من دونه هم أخفض منه مكانا ومكانة عند الله ؛ لما حباه الله من المكان الأرقىٰ والأسمىٰ بقربه من الذات العلية ووصوله إلىٰ مكانة لم يعرفها نبي مرسل ولا ملك مقرب .

فسبحان من أودع في وجه حبيبه ونبيه علامات النبوة والصدق ، فكل من كتب الله له الهداية حين رأىٰ رسول الله ﷺ وجد فيه علامات الصدق ، وبشارات الحق ، وشاهد نور النبوة في جبينه ساطع كسطوع شمس الظهيرة، وقد رآه عبد الله بن سلام لأول مرة حين وصل النبي ﷺ المدينة فقال:" فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب "(١)

فاللهم ارزقنا معيته ، وأسعدنا بصحبته ، واسقنا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا .

وصل اللهم وسلم وبارك عليه إلىٰ يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين

❁❁❁❁❁

(١) صحيح ابن ماجه ٢٦٤٨ ،المحدث الألباني

الخاتمة

بعد هذه التطوافة مع القصيدة الأشهر في مدح النبي الأزهر ﷺ فقد خلصت إلى نتائج من أهمها:-

١- تعد الثنائيات الضِّديَّة من الأساليب اللغوية التي يتبناها الشعراء والمبدعون كي تشارك في تعميق الصورة وبيان جمالها ، وتسهم في الإبداع الذي بدوره يحرك عقلية المتلقي لبيان الفروق بين الأضداد ، ورسم النقيض ليبين نقيضه في آن واحد ، والعزف علىٰ وتر التضاد بموسيقاه المتباينة يمنح النص الصورة الجمالية التي يسعىٰ في طلبها المبدعون ، ويسعد بوجودها المتلقون .

٢- كان لهذه الثناءيات الأثر البالغ في بيان المعنىٰ والوصول الىٰ الغرض الذي يرمي إله الشاعر

٣- أدت الثنائيات الضِّديَّة دورا مهما في قصيدة البردة حيث كانت حاضرة في أغلب أبيات القصيدة ، وارتكز عليها البوصيري بشكل لافت وواضح ، حيث رسم الكثير من صورة معتمدًا علىٰ الثنائيات الضِّديَّة .

٤- تنوعت تلك الثنائيات بين الثنائيات المعنوية ، وثنائيات التضاد الطباقي ، وثنائيات التضاد بالسلب (تضاد النفي) ، وثنائيات التضاد اللوني ، وثنائيات التضاد السياقي ، والثنائيات الضِّديَّة اللفظية ، والثنائيات الاسمية ، والثنائيات الفعلية ، والثنائيات الجامعة .

٥- استطاع البوصيري أن يوظف كل طاقته الإبداعية وقدراته التعبيرية وإمكاناته الأسلوبية لتعميق التناقض في النص الذي يصل الىٰ أقصىٰ حد ممكن ويشكل صورة مفاجئة تؤثر في المتلقي .

٦- لم تكن الثنائيات التي وردت في قصيدة البردة قصدية متعمدة ، وإنما كانت طبيعية وفطرية نابعة من طبيعة الحياة التي تقوم أساسًا علىٰ فكرة الثنائيات .

٧- من اللافت وجود أكثر من لون من ألوان التضاد أو الثنائيات الضِّديَّة في بيت واحد فنجد تضاد اللون مع تضاد المطابقة مع تضاد السياق ، مما يدل أولا: علىٰ براعة الشاعر وتمكنه من أدواته وثانيًا: علىٰ اهتمامه بهذا اللون من الأساليب الشعرية التي يراها أكثر أثرًا وأعمق تأثيرًا .

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
١- أساس البلاغة الزمخشري،دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر،تحقيق علي محمد البجاوي،دار الجيل بيروت لبنان،١٩٩٢.
٣- الأسلوب والأسلوبية غراهام هوف، ترجمة كاظم سعد الدين،منشورات دار الإنماء القومي ١٩٨٥.
٤- إعجاز القرآن، الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق :السيد أحمد صقر.
٥- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، اعتنىٰ به وراجعه محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٨م
٦- بنية التضاد في شعر ابن حمديس ت(٥٢٧) دراسة أسلوبية فاتن طه أحمد الحاج يونس،رسالة ماجستير باشراف الأستاذ المساعد بسمة محفوظ البك، كمية التربية، جامعة الموصل.
٧- التعريفات للجرجاني مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٥.
٨- ثلاثية البردة بردة الرسول صلىٰ الله عليه سلم (حسن حسين) دار الكتب القطرية الدوحة الطبعة الأولي ١٤٠٠هـ
٩- الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي، أ.د .علي زيتونة مسعود، جامعة الوادي.
١٠- الثنائية الضدية في نماذج من الشعر العباسي، ماجد عبد الحميد الكعبي، مجلة أطراس، س ١، ع ٢، جامعة البصرة، نيسان، :٢٠٠٦

١١- ثنائية الماء والنار في شعر أبي تمام، د.نوزاد شكر إسماعيل، مجلة التربية والعلم، م ١٩، العدد (٢)نيسان ٢٠٠١

١٢- الجامع الصغير المؤلف: جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ الطبعة: الطبعة السادسة : ٢٠١٢

١٣- جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨١

١٤- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة :جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- (١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.)

١٥- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العممية، بيروت، ط ٢/ ١٤٢٤ هـ

١٦- خصائص الأسلوب في الشوقيات، عبدالهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ط ، ١٩٨١ م

١٧- الخطاب القرآني خلود علموش عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن ،جدارا للكتاب العالمي ،عمَّان.

١٨- ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح أستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت طبعة١٩٩٧

١٩- الرسالة محمد بن ادريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر،مطبعة مصطفىٰ الباني الحلبي الطبعة الأولىٰ ١٩٣٨ م .

٢٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي- دار إحياء التراث العربي- القاهرة- بدون تاريخ

٢١- الشعر والرسم، فرانكمين روجرز، ترجمة :مي زيادة، دار المأمون لمطباعة والنشر، بغداد،١٩٩٩ م.

٢٢- .الشعر ولغة التضاد ، مختار أبو غالي، حوليات كمية الاداب، جامعة الكويت الحولية الخامسة عشر، ١٩٥٤ م.

٢٣- صحيح البخاري،محمد بن إسماعيل البخاري ،دار ابن كثير / لبنان / بيروت ٢٠١٨ م.

٢٤- صحيح ابن ماجه ،محم بن يزيد القزويني ،حكم وتعليق المحدث الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.

٢٥- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سيل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري(ت ٣٩٩ هـ، تحقيق علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧ م.

٢٦- صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية فنية، أ.د .حافظ المغربي، دار المناهل للطباعة والنشر،الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٩ م .

٢٧- عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين عبدالرحمن بن بكر السيوطي بشرح العلامة عبدالرحمن بن عيسىٰ بن مرشد العمري المعروف بالمرشدي، شركة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة الثانية ١٩٥٥ م.

٢٨- علم الدلالة جون لاينز ، ، ترجمة محمد عبد الحليم الماشطة وآخرون .

٢٩- علم الأسلوب مبادئه وأجزاؤه ، د / صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط١٩٩٢ م.

٣٠- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق :أبي عمرو عماد زكي الباروي، المكتبة التوفيقية.

٣١- فوات الوفيات :محمد بن شاكر الكتبي- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- (١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م.

٣٢- في النحو العربي، نقد وتوجيو، ميدي المخزومي، منشورات المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ط١٩٦٤ م.

٣٣- القاموس المحيط، الفيروزآبادي القاهرة: دار الحديث، (٢٠٠٨)

٣٤- كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ٣٠٧ط ١، ١٩٥٢:

٣٥- كتاب مجلة الرسالة أحمد حسن الزيات العدد ٨٩٢ ص ١٨

٣٦- لسان العرب ابن منظور، دار المعارف القاهرة بدون .

٣٧- اللون في الشعر الأندلسي حتىٰ نهاية عصر الطوائف، أحمد مقبل محمد إبراهيم المنصوري، رسالة ماجستير، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، باشراف أ.د .سامي مكي العاني

٣٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق :أحمد الحوفي، نهضة مصر، ط ١/ ١٩٥٩ .

٣٩- معجم البلاغة العربية، د/ بدوي طبانة، دار المنارة جدة ،دار الرفاعي .

٤٠ - معجم علم اللغة النظري محمد علي الخولي، مكتبة لبنان.

٤١ - المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٤٢ - معجم المصطلحات الأدبية إبراهيم فتحي ، ، مادة سياق.

٤٣- معجم مصطلحات الأدب مجدي وهبة، مكتبة لبنان.

٤٤- معجم المصطلحات اللغوية رمزي البعلبكي ،دار العلم للملايين ١٩٩٠ م.

٤٥- المعجم الوسيط أحمد الزيات، إبراهيم مصطفىٰ، محمد النجار وآخرون، ، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

٤٦- المعجم الوسيط مجمع اللّغة العربية .

٤٧- مقال (حول البردة) للأستاذ محمد سيد كيلاني مجلة الرسالة العدد٨٩٢

٤٨- المقايسات، أبو حيان التوحيدي

٤٩- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق :كمال مصطفىٰ، مكتبة الخانجي بمصر، سنه ١٩٦٣